مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

تحليل آيات الترغيب في الإيمان باللّه في ضَوء التداولية المُدمجة

أ.م.د سعيد فرغلي حامد(*)

ملخص البحث:

يُحاول هذا البحثُ تحليلَ نصوص آيات الترغيب في الإيمان بالله، التي وردت في القرآن الكريم في ضَوء اتجاه التداولية المدمجة، وهو الاتجاهُ الذي يُعنى بدمج المستويات اللغوية التركيبية، والدلالية، والتداولية _حسب تصنيف موريس C.Morris– مع بعضها البعض.

يهدف البحثُ في جانبه النظري إلى تناول ماهية التداولية المدمجة، وتحول الدرس التداولي من لغويات اللسان إلى لغويات السياق ثم عرض آليات هذا الاتجاه ووسائله، ويروم في جانبه الإجرائي الكشف عن استعمال الألفاظ والتعبيرات الواردة في نصوص الترغيب في الإيمان بالله تبعًا لأصولها المعجمية ودلالات هذا الاستعمال وفقا للسياق خارج اللغوي.

يعتمد البحثُ على التحليل وفقا لآلية المعنى؛ إذ يُعنى هذا التحليل بدراسة الجملة أو التعبير اللغوي اللساني الذي يخصها بالدلالة ثم تُعالج هذه الدلالة بالمكون البلاغي الذي يدعمها بمعنى مخصوص هو معنى الملفوظ النصي في الآيات مجال التطبيق من حيث إن التحليل Analyse يُعَدُّ هدفا رئيسًا من الأهداف التي يرتكز عليها البحثُ التداوليُّ المُدمج.

الكلمات المفاتيح: القرآن الكريم الترغيب في الإيمان بالله_ التداولية المدمجة– الحجاج اللغوي.

Abstract

Analysis of the Verses that Encouraging Faith in God, in the Light of Integrated Pragmatics

This research attempts to analyze the texts of the verses that encouraging faith in God, which are mentioned in the Holy Quraan in the light of the integrated pragmatics, it is the trend that is concerned with integrating the structural, semantic and pragmatic linguistics levels by C Morris classification with each other.

This research aims from its theoretical aspect to deal with the nature of integrated pragmatic. The pragmatic lesson transferred from linguistics of the tongue to the linguistics of the context, and then presented the mechanisms and means of this trend. The research aims from the procedural aspect to reveal the usage of words and expressions contained in the texts of encouragement to believe in God, according to its lexical origin and the semantics of this usage according to the context outside the linguistics.

The research depends on the analysis according to the mechanism of meaning. This analysis is concerned with the study of the sentence or the linguistics expression to which relates is a semantics expression, then this signification is treating with the rhetorical component that supports it with a specific meaning, which is the meaning of the text uttered in the applied verses. Analysis is a major goal of the integrated pragmatic research is based.

(*) أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب _ جامعة أسيوط.

مِهادٌ نظري:

شهدت الساحةُ الفكرية والمعرفية في العقود الأخيرة من القرن العشرين بروز عدة نظريات ومناهج لغوية ولسانية اهتمت بالمُتكلم وفكره اللغوي وبخاصة بعد ظهور محاضرات فرديناند دي سوسير F.De Saussure (١٨٥٧ : ١٩١٤م) التي عُنيت بالفصل بين اللغة والكلام، ومن بعدها النظرية التوليدية التحويلية، التي ولدت على يد نعوم تشومسكي .A. N (Chomsky١٩٢٨:م)، واهتمت بصاحب اللغة والكفاءة اللغوية الفردية، ونظرية السياق Context التي أولت العالم الخارجي المحيط بالنص أو ما يكون خارج النص كُلَّ اهتمامها.

ونتيجة لما وُجه للسانيات البنيوية من تركيزها على النظام اللساني، وعدم الاهتمام بالعملية التخاطبية والمُخَاطِب في السياق، وما وجه للنظرية التوليدية التحويلية من انتقاد يتعلق بتمسكها بعنصر استقلالية التركيب ظهرتْ الدعوةُ إلى ضرورة التفكير بالبعدين الدلالي، والتداولي، وقد راد هذه الدعوةَ وبلور نواتها الأولى الفيلسوف الأمريكيُّ تشارلز وليام موريس Charles William Morris(١٩٠٣ : ١٩٧٩م) الذي وزع النظرية السيميائية Semiotics إلى ثلاثة فروع (التركيب، والدلالة، والتداولية)، وقصر التركيب على النحو، والدلالة على المعنى، والتداولية على الوظيفة التي تُنجزها العلامةُ، وتؤديها.

وقد كان هذا التصورُ أو هذا التقسيم، الذي قدمه موريس عن التداولية بمثابة وفاء للنظام اللساني بوجه عام، والسيميائية بشكل خاص، وقد تجسد هذا التصور فيما بعدُ وجودًا مستقلًا مع أقطاب التداولية المدمجة وأنصارها.

ومن بعد موريس تطورت التداولية منهجيًا على يد فرانسيس Francis gacques ، الذي حدد منطلقاتها البحثية، ثم فلاسفة مدرسة أكسفورد وبخاصة الفيلسوف الإنجليزي ذو الأصول النمساوية لودفيغ فتجنشتاين Ludwig genstien (١٨٨٩ : ١٩٥١م)، وبول غرايس P. Grice .H(١٩١٣ : ١٩٨٨م)، وجون أوستن John Austin (١٩١١ : ١٩٦٠م)، وجون سيرل John Searle)، الذين أسهموا في بلورة المنهج التداولي عبر عدد من الرؤى، والنظريات، تأتي على رأسها نظرية الأفعال الكلامية Speech acts التي تُعَدُّ من أهم مستويات التحليل التداولي(*)، "بل إن التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفةً للأفعال الكلامية"(١) كما أن الأفعال الكلامية تُشكِّل امتدادًا للمنحى العام الطامح إلى العناية بإظهار الانعكاس الواضح للمناحي التلفظية، والآدائية في البنى اللغوية الداخلية، وهو الأمرُ الذي يجعلها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالقصدية التداولية انطلاقًا من أن الفعل الكلامي هو "كُلُّ ملفوظٍ ينهضُ على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري. وفضلًا عن ذلك يُعد نشاطًا ماديًا نحويًا يتوسل أفعالًا قولية Actes locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes

perlocutoires تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومن ثَمَّ فهو فعلٌ يطمح إلى أن يكون فعلًا تأثيريًا، أي يطمح أن يكون ذا تأثير في المخاطب...ومن ثَمَّ إنجاز شيءٍ ما"[٢]، فقصد المُخاطِب أو المتكلم من الشروط الواجبة لاتمام التلفظ، حتى يكون الملفوظ ذا معنى، وإفادة.

ووصلًا بما سبق فقد اهتمتْ التداوليةُ بالوظيفة التأثيرية، وعُنيت بإقامة التواصل والتأثير بين طرفي العملية التخاطبية (المُخَاطِب، والمُخَاطَب) ودراسة الرموز اللغوية التي يستخدمها الأول في عملية التواصل من أجل التأثير في الثاني، وكذلك دراسة علاقات الكلام وسياقاته ... وغيرها.

التداولية لغة :

التداول لغة مادة "دول"، وقد جاء في لسان العرب لابن منظور الإفريقي: "الدَّوْلةُ، والدُّوْلةُ : العُقْبةُ في المآل والحرب سواء ... والدَّولة: اسم الشيء الذي يُتداول، والدَّولة الفعل والانتقال من حال إلى حال ... وتَداوَلنْا الأَمرَ: أَخذناه بالدُّوَال ... وتَداولته الأيدي: أَخذته هذه مرة وهذه مرة"[٣]، ولعل هذا المعنى اللغوي هو ما جعل عددًا من الذين عرّفوا التداولية يعنون بها تداول اللغة بين مستخدميها، وهو الأمر الذي يقتضي العناية بعناصر التخاطب(المُخاطِب، والمخاطَب، والخطاب، والسياق).

تعددت الترجمات العربية لمصطلح **Pragmatics** فتم تعريبه إلى البرجماتية، والبرغماتية، وتمت ترجمته إلى المقامية، والسياقية، والذرائعية، والوظيفية، والمقصدية، والتخاطبية، والنفعية، وعلم استعمال اللغة ... إلخ، ولعل مصطلح التداولية هو أشهر المصطلحات العربية، وأكثرها شيوعًا، واستخدامًا وتعني في معناها العام دراسة الاستعمال اللغوي أو دراسة اللغة أثناء استعمالها، وأول من استخدمه عربيًا الفيلسوف المغربي طه عبدالرحمن (١٩٤٤ :_____م)، الذي يقول: "وقد وقع اختيارُنا منذ ١٩٧٠م على مصطلح التداوليات قابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا)؛ لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالاته على معنيي "الاستعمال" و"التفاعل" معًا، وقد لقي منذ ذلك الحين قبولًا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"[٤]

وعلى صعيدٍ متصل فقد اجتهدَ طه عبدالرحمن في تقسيم اللسانيات إلى ثلاثة مستويات (الداليات، والدلاليات، والتداوليات)؛ وذلك حينما نراه يقول: "ونقسم اللسانيات التقسيم الثلاثي التالي:

أ_ الداليات : نقصد بها الدراسات، التي تختص _وإن أمكن بتفسير_ الدال الطبيعي في نطقه وصوره وعلاقاته، وبهذا تكون الداليات عندنا شاملة للأقسام الثلاثة المشهورة: الصوتيات، والصرفيات، والتركيبات.

ب_ الدلاليات: وهي الدراسات التي تختص بوصف _وإن أمكن بتفسير_ العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية ومدلولاتها سواء اعتبرت تصورات في الذهن أو أعيانا في الخارج.

ج_ التداوليات: وهي الدراسات التي تختص بوصف _وإن أمكن بتفسير_ العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية ومدلولاتها وبين الدالين بها"[٥] ثم بيَّن الرجلُ بعد ذلك سببَ اهتمامه بالقسم الثالث (التداوليات) بقوله: "وقد كانت أكثر استفادتنا في هذا البحث من قسم التداوليات في أبوابه الثلاثة: باب أغراض الكلام، وباب مقاصد الكلام، وباب قواعد التخاطب"[٦]

وعن تعريف التداولية اصطلاحًا فقد عرفها فيليب بلانشيه P. blanche بأنها "الدراسة التي تُعنى باستعمال اللغة وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية، والسياقات المرجعية والمقامية والحدثية والبشرية"[٧]

أما مسعود صحراوي فقد تحدث عما أسماه بـ"قضية التداولية" وقارب ماهيتها بأنها ""إيجادٌ" القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرّف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير "التداولية" من ثَمَّ جديرةٌ بأن تُسمى "علم الاستعمال اللغوي""[٨]

ولعل أقرب مفاهيم التداولية لدى الباحث المفهوم، الذي أورده محمود نحلة في كتابه "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر" بأنها هي "دراسةُ اللغةِ في الاستعمال In use، أو في التواصل In interaction؛ لأنه يُشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلًا في الكلمات وحدها، ولا يرتبطُ بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده فصناعة المعنى تتمثل في تداول negotiation اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولًا إلى المعنى الكامن في كلامٍ ما"[٩]

تأسيسًا على ما سبق وانطلاقًا من البحث في ماهيتها فقد شكلتْ التداوليةُ حقلًا خصبًا لإعادة النظر فيما يتعلق بقضايا الاستعمال اللغوي، ووسائل التواصل بحيث إنها لم تعد علمًا يكتفي بدراسة الأبنية اللغوية، وتحليلها بل غدت علمًا يدرس الظواهرَ اللغوية، واستعمالاتها من منظور تواصلي، وتوصيلي في آن واحد، وبخاصة أنها جاءت بعد المرحلة البنيوية Structuralism، التي قصرت اهتمامها على دراسة المستويات اللغوية وإجراءتها النسقية الداخلية وحسب، وأقصت كل ما هو خارجي أو مرجعي أو سياقي.[*]

أفادت التداوليةُ من الانفتاح المعرفي وظهور المنهجيات المتعددة، وغدت نظريةً ثرية؛ إذ تفرعت إلى تداوليات كثيرة، وكلها اتجاهاتٌ وفروع تندرج تحت نظرية واحدة متعددة الروافد؛ حيث أضحت التداولية "ملتقى جملة من الاختصاصات المعرفية كالفلسفة والسيميائيات والرياضيات والبحوث النفسية والاجتماعية والذهنية، وهي اختصاصات بقدر ما تؤسس لفروضها ومفاهيمها الخاصة، بقدر ما كانت رافدا خصبا للتداولية"[١٠]

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

تداخلتْ التداوليةُ إذن مع جملة من العلوم والمعارف، التي أسهمت في تشكيلها ومن أهم هذه العلوم الفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وتحليل الخطاب ... وغيرها، فليس للتداولية مصدر واحد، وإنما تعددت مصادرُها المعرفية وتنوعت، وهو الأمرُ الذي أكده فرانسواز أرمينكو F. Armenko، الذي يرى أن التداولية "تُشكل مفترق طرق غنية لتداخل اختصاصات اللسانيين، المناطقة، السيميائيين، الفلاسفة، السيكولوجيين، والسوسيولوجيين. فنظام التقاطعات هو نظامٌ للالتقاءات والافتراقات"(١١)، وهو الأمرُ الذي أقره أيضا مسعود صحراوي؛ إذ يرى أن التداولية ليست علمًا محدد الاختصاص المعرفي، وإنما هي "علمٌ جديدٌ للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال؛ ويدمج، من ثَمَّ مشاريع معرفية متعددة في دراسة "ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره"(١٢)، وبالتالي هي بمثابة فرع معرفي ينتمي لمجموعة العلوم اللغوية واللسانية، ويختص بتحليل عمليات الكلام واللغة وتفسيرها، والنشاط اللغوي وعلاقته بمستعمليه ويتواشج مع عدد من العلوم والمعارف، وهو الأمرُ الذي أدى لاتساع مجالات البحث التداولي، فقد انبثقت له فروع عديدة كالتداولية اللغوية، والتداولية الاجتماعية، والتداولية التطبيقية ... وغيرها.

ونظرا لشدة اتساع مجالات البحث التداولي، فقد وسمها جورج يول بـ"الدرس المحبط"، وذلك حينما قال: "إذن التداولية مستساغة لأنها تتعلق بالكيفية التي يتمكن من خلالها الناس فهم أحدهم الآخر لغويا، ولكنها قد تقلب لتكون ميدانا دراسيا محبطا؛ لأنها تتطلب فهم الناس وما في عقولهم"(١٣)

تُغطي التداوليات إذن مساحة كبيرة في العلوم المعرفية، وتُعَدُّ ذات مرجعية راسخة فيها، ويُشكل الاهتمامُ بها حيزا كبيرا في الدراسات المعرفية واللغوية؛ نتيجة لتفاوت المنطلقات التأسيسية لها، وهو الأمرُ الذي أدى لتفرعها لتشمل الحجاج، والإشاريات، والافتراض المسبق، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية ...، وغيرها.

وبإعادة النظر إلى جُل الدراسات والبحوث التداولية وبخاصة بداياتها نجد أنها اقتصرت على عدد من الأمور، وكلها تندرج تحت مظلة المعجمية كدراسة الضمائر، والزمان والمكان إلى أن تطورت الدراسات التداولية مع كل من أوستن، وغرايس؛ فظهرت إلى الوجود التداولية المعرفية Pragmatique Cognitive، وغيرها من الفروع والاتجاهات الأخرى كالتداولية المدمجة Integrated Pragmatic.

وعلى نحو متصل وبتفحص مصادر التفكير التداولي قديما لدى العرب نلحظ تعددا في مصادر هذا التفكير، الذي بسط سدوله على النحو، والبلاغة، والخطابة، والتفسير ...، وهو الأمرُ الذي أفاض فيه عددٌ من الباحثين المحدثين، الذين خرَّجوا آراء أولئك العلماء وحاوروها، كما حاولوا تقصي الإسهامات والمرجعيات العربية في هذا الميدان من ميادين المعرفة، والبحث.

البلاغة والتداولية :

أدتْ البلاغةُ قديمًا دورًا مهمًا وذا قيمة في صون الكلام، ودراسة الخطابات والنصوص لكن مع التطور العلمي الهائل في العصر الحديث تراجعت مكانتها؛ لذا كان لزامًا على البحث البلاغي الانفتاح العلمي والمعرفي والسماح لعلوم أخرى بمساندتها في دراسة الخطابات، والنصوص ومقاربتها، وإن كان هذا الأمر لا يحرم البلاغة فضل الأسبقية؛ إذ "إن الإسهامَ التراثي النقدي يحتكم إلى المنهج في كشوفاته النظرية والتطبيقية ولا سيما البلاغة إلا أن تشكلات المنهج وحدوده الإجرائية كانت مرتبطة بحدود العصر المعرفية آنذاك"(١٤)

تلتقي البلاغةُ مع التداولية في كيفية توصيل الرسالة للمتلقي، وقيامه بقراءتها وفك شفراتها، وتتفق معها في كثيرٍ من الآليات، والتقنيات المشتركة مما جعلهما يتداخلان، فإذا كانت البلاغةُ تهتم بالتصوير البياني، والتركيب المعنوي، والتحسين البديعي، فإن التداولية تهتم بالسياق، وأفعال الكلام، ومضمرات القول، ومقاصد المتكلمين، واستراتيجيات الخطاب، وقد "اهتمت أولًا بوصف العلاقة بين العلامات ومن يستخدمونها، ثم لم تلبث أن حلت كلمة "نصوص" محل "علامات" بحيث أصبحت التداولية تُعنى بتحليل العلاقة بين النص، ومن يستخدمه"(١٥)

ومن ناحية ثانية فإن الإقناع يُعد غرضًا جوهريًا عند البلاغيين من منظور الدرس الحجاجي، والتداولي بدايةً من البلاغة الغربية ممثلة في أرسطو Aristo (٣٨٤ : ٣٢٢ ق.م)، وبحثه في الطرق المؤدية للإقناع انطلاقًا من أن الإقناع يعد حلقة مهمة من حلقات التواصل، واللغة التواصلية وهي الأرضيةُ التي تلتقي فيها البلاغة مع التداولية، وهذا الأمرُ قد تنبه له هنريش بليت Heinrich F.Plett حينما قرر أن "توجه البلاغة نحو الأثر (التداولي) يظهر في تمييزها، منذ القدم بين ثلاثة أنماط أساسية من المقصدية، واحدٌ منها فكري، واثنان عاطفيان، أحدهما معتدلٌ والثاني عنيف (انفعالي أو تهييجي)"(١٦)، وهو الأمرُ ذاته الذي أكدَه اللغويُّ الفرنسي أزفالد ديكرو O. Ducrot حينما قررَ أن "الاستعمالَ الإقناعي للغة ليس شيئًا مضافًا إلى اللغة، بل إنه موجودٌ في نظامها الداخلي"(١٧)

ولعل البلاغة العربية تعد من أهم من العلوم اللسانية، التي راعت الجانبَ الدلاليَّ في علومها الثلاثة، فهي "النحو العالي"، أو لنقل دلالة النحو في علم المعاني، التي بها نستطيع أن نميزَ قواعد الكلام المختلفة، وأساليبه وكيف بُنيت، وعلام سيقت، ولمن تُوجه ؟؟؟، وهي التصويرُ البياني، والتحسين البديعي، وما تطرحه هذه العلوم عبر أبوابها، ومباحثها من أسئلة نستطيع بها أن ندركَ قيمة اللغة، بما يشي بأن البلاغة تعد أشمل من أن يتم حصرها في الجوانب الجمالية وحسب "فلفظ البلاغة _كما يقول رولان بارت Roland Barthes (١٩١٥ : ١٩٨٠م)_ يمتلك دلالةً مزدوجة:

فهي أداة محاججة، وسيلة تفكير، تقنية للإقناع، إضافة إلى كونها فن القول، وجودة الحديث (والكتابة فيما بعد)"[١٨]

وعند تناول علاقة التداولية بالتخصصات الأخرى، وعلى رأسها البلاغة نجد الباحثين يشتركون في القول بأن التداولية تهتم بالكلام المبتعد عن مجال دراسة اللسانيات السوسيرية أي دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة نظامها الذي تُعنى به اللسانيات، أما البلاغةُ فقد عرَّفها حصرًا الخطيبُ القزويني (ت ٧٣٩هـ) بأنها "مطابقةُ الكلامِ مقتضى الحال مع فصاحته"[١٩]

وعلى صعيد آخر فقد أضحى التداخل العلمي سمة ملحوظة في البحوث المعرفية الراهنة، وأمست الدراسات البينية حاجة ملحة في مواجهة التخصصات الدقيقة التي ضاقت ذرعا بأهلها؛ لهذا "فإن خير منهج نتبعه هو فتح البلاغة العربية على العلوم المعرفية المعاصرة وبخاصة علوم الاتصال (المرئية والمسموعة)، وإعادة قراءة الموروث البلاغي ضمن شروطنا الحضارية المعاصرة وتطعيمها بالنظريات اللسانية الحديثة خصوصا البراغماتية، وتسليط الضوء أكثر على مقولتهم "لكل مقام مقال" ثم الاهتمام أكثر بالمتلقي وبرؤاه المستقبلية وتوجهاته الراهنة وكذلك بمتغيراته النفسية والاجتماعية والمعرفية التي تحكم نسقه الاعتقادي وتحركاته الفعلية، فهذا أمرٌ ضروريٌ وملح نظرًا لما تحمله بلاغتنا العربية داخل طبقاتها من ثراء، وفكر"[٢٠] من حيث إن التداولية غدت منظورًا جديدًا للبحث البلاغي، أو ما بات يُعرف في ميدان أدبيات تحليل الخطاب بـ"البلاغة الجديدة The new rhetoric"، وهو ما يشي بأن التداولية في دراستها للغة تتجاوز ثنائية اللفظ/الشكل، والمعنى/المضمون إلى مجالات أخرى لا تحكمها هذه الثنائيةُ فكل ما تتطلبه الأحوالُ وتقتضيه، ويدعو له المقام هو من صميم البلاغة، واختصاصها ولم تكن هذه الأهدافُ بعيدةً عن التداوليين بما يؤشر بأن التداولية تنهض على البلاغة وقاعدتها أو أنهما يشتركان معا في الاهتمام بدراسة اللغة، والعناية بها بوصفها أداة توصيل وتأثير، وهو الرأيُ الذي يدعمه ويُسانده عددٌ كبيرٌ من البلاغيين والنقاد قديما وحديثا ومنهم ليتشV.Leitch ، الذي يذهب إلى أن "البلاغة تداولية في صميمها؛ إذ إنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما؛ ولذلك فإن البلاغة والتداولية البرجماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي على أساس أن النص اللغوي في جملته إنما هو "نصٌ في موقف""[٢١]، ولعل السبب وراء عناية البلاغيين بالسياق يرجع إلى اهتمام البلاغة وعلومها بكيفية بناء الكلام، وكذلك اهتمامها _وربما يكون هذا هو الجانب الأهم_ بالعملية الإبلاغية أو التواصلية؛ إذ تعد البلاغة بكشفها البياني والتصويري، وإيصالها وتركيبها المعنوي، وتحسينها وزخرفتها البديعية نظريةً متكاملةً، وهي في كل هذا تتضمن محوصلة من المبادئ والمرتكزات التواصلية، التي يُطبقها المخاطِبون أو المتكلمون بغيةَ التأثير في المخاطَبين أو المستمعين وفقًا

لسياقات متعددة، وظروف متفاوتة، وكلما راعى المتكلمون أو المُرسِلون سياقات الخطاب اقترب كلامهم أكثر من الإقناع، والتأثير.

وفي ميدان البلاغة الجديدة تُعَدُّ البلاغة مساوية للتداولية ورديفة لها؛ إذ إن البلاغة عند المشتغلين في هذا الميدان والباحثين فيه ظاهرة لغوية، ومن ثم تدخل ضمن اهتمامات البحث التداولي؛ ولذا عَدَّ الكثيرون البلاغةَ الجديدة فرعًا من فروع اللسانيات، واتجاهًا من اتجاهاتها.

التداولية ... من لغويات اللسان إلى لغويات السياق :

لم يعد السياقُ في الدراسات الراهنة بمنأى عن البحث التداولي؛ إذ لم يقتصر الأمر _مع تعدد اتجاهات التداولية وتنوع روافدها_ على فهم اللغة أو الاستعمال اللغوي بوصفه موضوعًا مستقلًا عن الإجراء، والممارسة، بل تجاوز ذلك إلى البحث في خصائص هذا الاستعمال، وطرق تأثيره، وانتقاء الأطر الكلامية والبحث في حالاتها الشعورية والتأثيرية؛ انطلاقًا من أن الكلام أو اللغة إنما يـ/تسعى لتحقيق غايات ومقاصد معينة، وهذه الغاياتُ وتلك المقاصد لا بُدَّ وأن ترتبطَ بسياقات متعددة، هي التي تُسهم في إنتاج اللغة أو التعبيرات اللغوية وتسعى لتفسيرها، وتأويلها، وهو الأمرُ الذي يُنزل دراسة السياق منزلة كبرى في الدرس التداولي.

وما يقصده الباحث بالسياق هنا _وبخاصة من الناحية التطبيقية والإجرائية_ محاولة الوصول إلى رؤية شمولية توافقية بين المقام البلاغي، الذي يتصل بالأحوال الخارجية المنعكسة على الصياغة اللغوية وما يرتبط بها من عناصر أخرى، والسياق Context التداولي، وهو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى إيراد كلامه بكيفية مخصوصة ومناسبة، ولا يتعارض عملهما هنا باعتبار أنهما _وعلى حد تعبير ستالنكير وجاك_ "مفعول الأعمال اللغوية السابقة، وعلة الأعمال اللغوية اللاحقة"[٢٢] على أن مصطلح السياق قد اتخذ معان عدة لعل أشهرها كل ما يُحيط بالوحدة أو البنية اللغوية المستخدمة في النص سواء أكان مكتوبًا أم ملفوظًا، وهو ما قرره ديكرو حينما قال "إننا نسمي مقام الخطاب مجموع الظروف التي نشأ التعبيرُ في وسطها (الكتابي أو الشفاهي) ويجب أن نفهم من هذا المحيط المادي والاجتماعي، الذي يأخذ فيه الظرف مكانه، والصورة التي تكون للمتخاطبين عنه"[٢٣]

وعلى نحو متصل ينقسم السياق Context في اللغة إلى قسمين:

_ السياق اللغوي (الداخلي)، ويتمثل في جملة العلاقات التركيبية الداخلية (النحوية، والصرفية، والمعجمية، والصوتية) وهو ما يُعرف بسياق النص أو النَظم.

_ السياق غير اللغوي (الخارجي)، ويتمثل في جملة السياقات الخارجية الثقافية، والنفسية، والتاريخية، والاجتماعية ... وهو ما يُعرف بالمقام Situation.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

جاءت التداولية إذن كي تُغطي المسافةَ التي حوتها العبارة البلاغية "مقتضى الحال"، وإعادة فحصها والنظر إليها من منظور تداولي عبر توسع الأخيرة وابتعادها قليلًا عن حيز النزعة اللسانية المحضة حتى غدت التداولية عند البعض "هي دراسة الأفعال اللسانية والسياقات التي تتم فيها"[٢٤] بما يجعل مفهوم الموائمة أو المناسبة أساسًا من أسس التداولية، ولن يتم لنا فهم هذه الملائمة أو المناسبة إلا من خلال دمج الشكل اللغوي بالمعنى السياقي، وهو الأمر الذي تجلى بشكل ملحوظ مع ظهور اتجاه التداولية المدمجة Integrated Pragmatic_ ، التي تعني ذلك الإجراء الذي ندرس من خلاله الجوانب الوظيفية، والتداولية، والسياقية في النص Co_Text، ومجمل العلاقات الموجودة بين المُخَاطِبين، والمُخَاطَبين، والعناية بالإحالات المرجعية التي تمَّ إقصائها من قِبل اللسانيات البنيوية السوسيرية؛ حيث إن الأخيرة قد ركزت على البنى الداخلية، والشكلية دونما عناية بالفعل الكلامي أو المقصدية الوظيفية أو السياق التواصلي ... أو غيرها من الأمور التي عُنيت بها المقاربةُ التداولية التراتبية أو الخطية(*) التي انطلقت من التصور البنيوي، الذي أكد فيه دي سوسير على "أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، والتواصل حسب سوسير عملية يجري فيها نقل المعلومات والأخبار بين مرسِل ومُرسَل إليه حيث يتولى الطرفُ الأول تزويدَ الطرف الثاني بمعرفة لم يكن يتوفر عليها من قبل، فلا مجالَ للحديث عن التواصل في غير الحالة التي يجري فيها إيصال شيءٍ ما"[٢٥] بخلاف البحث التداولي المدمج؛ إذ لا تُعالج التداولية المدمجة الملفوظَ في خطيته بل تتناول محتواه الإخباري (اللساني وغير اللساني)؛ إذ إن المعنى في ضَوء البحث التداولي المدمج يرتبط ارتباطًا جوهريًا بالتعبير، وعملية التلفظ، ومن ثم يهتم البحثُ التداولي المُدمج بدراسة اللغة لا بدراسة الكلام، ويُعنى بدراسة الجوانب الدلالية وفق مستوى السياق، فهو لا يهدفُ إلى الإخبار والتبليغ ولا يرمي إلى تقديم بيانات ومعلومات، بل يسعى إلى التأثير في المخَاطَبين ودفعهم لاتخاذ مواقف من القضايا التي تُطرح عليهم بوصفها موضوعات نصية، ولغوية، وفيما يلي خطاطةٌ توضح تصنيف التداولية، وتياراتها.

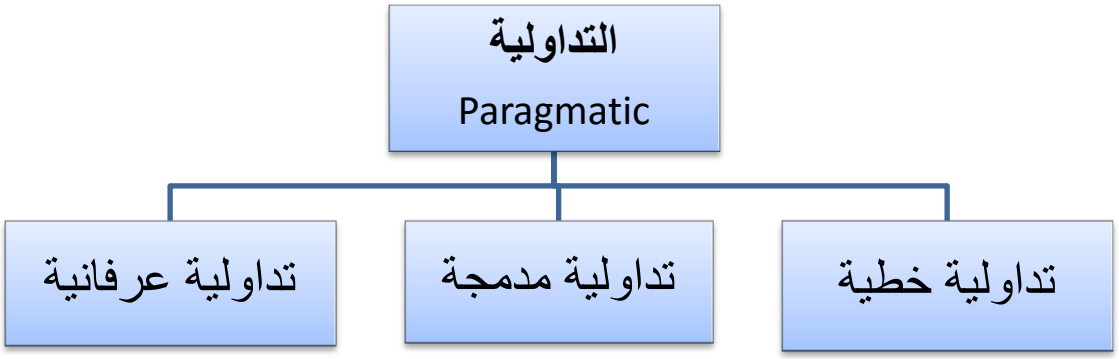

وعلى نحو متصل فإن التداولية المدمجة تُعَدُّ اتجاها من اتجاهات التداولية، وكيانًا من كياناتها المتعددة ظهر على يدي أزفالد ديكرو O. Ducrot، وزميله جون كلود أنسكومبر .Anscombre g.C، فقد وضعا هذان الباحثان منذ بداية السبعينيات أسسَ هذا الاتجاه وشيداه على نظرية الأفعال الكلامية للفيلسوف البريطاني جون أوستن Austin، التي وردت في كتابه "كيف ننجز الأشياء بالكلمات How To do thing with words" ١٩٦٢م، ومن بعده جون سيرل Searle في كتابه "أفعال الكلام Speech acts"؛ إذ كان للأخيرين دورٌ كبيرٌ في تركيز دعائم هذا الاتجاه، رغم أنه توجد بحوثٌ تشير إلى عدم وجود منظرين أو رواد معروفين له، ومنها بحث الراضي رشيد، الذي يقول فيه: "والملاحظ أن هذه الأعمال لا تتأطر ضمن مشروع موحد، ومنظور منسجم، وهو الأمرُ الذي كان من نتائجه ما يُلاحظ من تضارب في الرؤى والتباس في المفاهيم جعل تأثير هذه الأبحاث يظل محدودًا نسبيًا في الدرس اللغوي خلال عقود الستينيات والسبعينيات في القرن العشرين"[٢٦]، وهو ما لا يتفق معه الباحث، إذ إنني أرى أن نظرية الأفعال الكلامية تعد المرتكز الرئيس، الذي نهض عليه اتجاه التداولية المدمجة.

ووصلًا بما سبق فإن التداولية المدمجة قد انطلقت بوصفها مقولةً لسانيةً وافدةً انبثقت عن النظرية العامة للتداولية الخطية، واختلفت عنها في الوقت نفسه، وهي مقولةٌ تعالج تحليليا مشكلاتِ الاستعمال اللغوي بأبعاده المختلفة، ويُعَدُّ الاقتضاءُ Implicature مؤشرًا مهمًا من مؤشرات انبثاقها، وفحواه "المضمون الذي تبلغه الجملة بكيفية غير صريحة"[٢٧] بوصفه من العلاقات الحجاجية المتميزة وحلقة الوصل بين الحجج ونتائجها، وهذا الوصلُ يقتضي _وهذا هو الجانب المهم_ أن تطلب الحججُ أو الأدلةُ نتائجَها طَلَبًا، وتقتضيها اقتضاء.

وبالإضافة إلى ما سبق يُعَدُّ الاقتضاءُ شاهدًا على مقدرة المخاطِب اللغوية، وهي المقدرةُ التي يُعبر من خلالها معنويًا ودلاليًا أكثر مما يقول لفظيًا وحرفيًا، فإذا ما شاب الملفوظ أو المنطوق خللٌ أو وهن مما يتطلب من المخاطَبين رفضه، فإن المقتضى لا ينتابه أيُّ وهن أو ضعف مما يستلزم قبوله، والتسليم به فـ"الاقتضاء _حسب تعريف ديكرو ووفق ما جاء على لسانه_ هو ما أُقدّمه على أنه مشترك بيني وبين مخاطبي"[٢٨]، بما يستوجب وجود معرفة بين الطرفين، وهذه المعرفة ينبغي أن تُدرك من خلال العلاقات اللغوية المتضمنة في التعبيرات، والأقوال، كما أن هذه العلاقات لها دورٌ مهمٌ وفعالٌ في الاستدلال الحجاجي، انطلاقًا من أن التأثيرَ اللغويَّ في المخاطَبين يُبنى على الأفكار والدلالات المشتركة بين الطرفين(المتكلم، والمخاطَب أو السامع)[*] وفقًا لاتباعهما الشروط والآليات الخاصة بالفهم، وبخاصة أن الاقتضاء لا يتغير أو يختلف بتغيّر سياق الاستعمال اللغوي أو اختلافه، وعلاقة الشراكة هذه وشروط الإفهام السابقة قد تنبه لها قديمًا

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

الجاحظُ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ) حينما تحدث عن البيان معرفا إياه بأنه "اسمٌ جامعٌ لكل شيءٍ كشف لك قناعَ المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يُفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيءٍ بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى؛ فذاك هو البيان في ذلك الموضع"[٢٩] فالجاحظ بكلامه هذا يُعَدُّ أول من أسس لمعالم التداولية في البلاغة العربية عبر تأكيده على البعد التداولي في الدرس البلاغي من جانب، وجملة الجاحظ الأخيرة التي يُراد بها إقرار المعنى المقصود في المقام المحدد، وهو الجانب المهم والمستهدف في التحليل التداولي المدمج من جانب آخر.

تُسمى التداولية المدمجة بعدد من التسميات كالتداولية اللسانية(*)، والتداولية اللغوية، والتداولية التكاملية (المكتملة)، والتداولية المعتدلة، والتداولية المندمجة، والتداولية الجديدة كما يُطلق عليها عددٌ من الباحثين الحجاجَ اللغويَّ(*)، والحجاجَ التقني(*) وتُعرف _حسب القاموس الموسوعي للتداولية_ بأنها "نظرية دلالية تدمج في الشفرة اللغوية (اللسان بالمعنى السوسيري ١٩٦٨م) مظاهرَ عملية القول"[٣٠]، وليست مظاهر التلفظ Enonciation سوى عوامل حجاجية تتجلى في الأقوال، التي يتم تفسيرها، وتأويلها وفق غاية المتكلم، فتحليل القول في إطار تيار التداولية المدمجة يكون "اعتمادًا على الربط بين جملة من المعطيات اللغوية، التي تعود إلى "المكون اللغوي"، وجملة من المعطيات غير اللغوية التي تعود إلى "المكون البلاغي""[٣١] فيما يمكن أن يُسمى بدمج المقام في الدلالة أو التصور المعرفي التفاعلي بين لغة النص، ومقامه؛ "لذا وجب إكمال المكون اللغوي بمكون بلاغي مهمته إسناد قيمة أي ثابت للمتغيرات التي تتضمنها دلالة الجملة"[٣٢]

ووصلًا بما سبق فإن التداولية المدمجة تهدف إلى تبني فكرتين مهمتين، "والدفاع عن الأطروحتين التاليتين:

(أ) تقوم الأطروحة الأولى للتداولية المدمجة على الدفاع عن تصور لا وصفي للغة، مفاده أن الأقوال لا تبلغ حالات أشياء في الكون (وظيفتها التمثيلية) بل تبلغ أعمالا أي أعمالا لغوية (من قبيل الأمر، والوعد، والتمني، والإخبار، والحجاج)، وبهذا تُقابل الأطروحات اللاوصفية الأطروحات الوصفية المتعلقة بالنظريات الجذرية.

(ب)_ أما الأطروحة الثانية للتداولية المدمجة فهي أطروحة الإحالة الانعكاسية (أو الإحالة الذاتية للمعنى)، وهي ما يُمكن تلخيصه في الصيغة التالية: "إن معنى قول ما صورة من عملية إلقائه"، وتأويل هذه الصيغة هو : أن نفهم قولًا ما هو أن نفهم دواعي إلقائه"[٣٣]

تنهض التداوليةُ المدمجةُ على دحض فكرة رئيسة مؤداها الفصل بين المستويات اللغوية الثلاث (التركيب، والدلالة، والتداول)، وهي الفكرةُ التي أسس لها تشارلز موريس _كما أسلفتُ_؛ "حيث قصر موريس البحثَ التداوليَّ على دراسة الضمائر، والخطاب، وظرفي المكان والزمان (الآن وهنا) والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيًا خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل، ومع ذلك ظلت التداولية كلمة لا تُغطي أيَّ بحثٍ فعلي"[٣٤]، وتبعه في هذه الفكرة رودولف كارناب Rudolf Carnap ١٩٤٢م، الذي عرَّف التداولية على أنها "حقلُ البحوث التي تأخذ في اعتبارها نشاط الإنسان الذي يتكلم أو يسمع العلامة اللغوية، وحالته، ومحيطه"[٣٥]

تأسيسًا على ما سبق "تقوم التداولية على مخطط موريسMorris Charles (١٩٣٨م)، الذي يرى فيه ثلاثة أبعاد للسيميوطيقا هي: الدلالة (دراسة علاقة العلامة بالمرجع الذي تُحيل إليه) النحو (دراسة علاقة العلامات فيما بينها في التراكيب النحوية)، والتداولية (علاقة العلامات بمؤوليها)"[٣٦]

أما التداولية المدمجة ذات الشكل (Y) فإنها تعمل على دمج المكونات الثلاثة السابقة، وفي الوقت نفسه لا تغض الطرف عن أركان العملية الإبلاغية والتواصلية؛ إذ تهتم بالمتكلم، والكلام ومقاصده، والمتلقي إلى غير ذلك من الأركان والعوامل المؤثرة في إقامة الإبلاغ أو التواصل انطلاقًا من أن للجملة صورةً بنيويةً يُولدها المكونُ اللغوي، وصورةً بلاغية مكملة للإسناد اللغوي وليست مستقلة عنه بل هي مُدمجةٌ فيه، ويُراد بالدمج هنا تماهي المكونات البنيوية والدلالية بالمقامات البلاغية والسياقات التواصلية كما هو موضحٌ بالشكل التداولي الآتي، الحامل لهيئة مقلاع (**Y**)[*]:

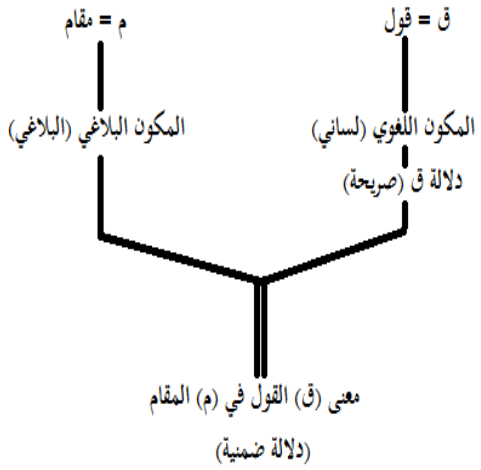

وبالإضافة إلى ما سبق يتمحور المشروع الرئيس للتداولية المدمجة حول بناء الخطاب دلاليًا، وصياغة هذه الدلالة انطلاقًا من التعبيرات والمظاهر التداولية مندمجة في الدلالة _كما أسلفتُ_، وهي وفقًا لهذا الطرح بحثٌ في البنية اللغوية ودلالة هذه البنية بغيةَ استخراج الأشكال والمظاهر

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

اللغوية، وكشف قيمها التداولية، وشروط استعمالها؛ إذ إن من أهم مهام التداولية المدمجة ووظائفها البحث في الآليات التي تتحكم في الخطاب داخليًا للكشف عن لغته، ومنطق ورود هذه اللغة.

وعلى صعيد متصل تراهن التداوليةُ المدمجةُ على مفهوم الكفاءة اللسانية، انطلاقًا من أن الدلالة اللغوية تتأثر بشروط استعمال اللغة، وهذه الشروطُ مقننةٌ، ومتحققة في اللغة ذاتها، وتنهض على فكرة دمج المستويات أو المكونات اللغوية والبلاغية في بعضها أثناء عملية التحليل؛ "إذ تُحلل في الأول دور الوحدات التركيبية من أدوات ربط وحذف وتأكيد وعطف ... في المؤثرات المعنوية والدلالية، في حين تُحلل في الثاني علاقة الدلالة بالمقام ... وأيضا آثار السياقات خارج النصية في كل ذلك"(٣٧)؛ حيث لا يهتم التحليل التداولي المدمج بتفسير المعنى الحرفي لدلالة الجملة بل بتحليل الدلالة مرتبطة بالسياق وما يتطلبه هذا التحليل من فرضيات، وهو ما يؤكد أن اتجاه التداولية المدمجة لم يُعلن القطيعة التامة والصارمة مع النموذج التحليلي التداولي المعياري، وإنما قد أجرى تعديلًا عليه، وإضافة مهمة إليه، وتتمثل هذه الإضافة في دمج الفرضيات بنوعيها الداخلي والخارجي ببعضهما البعض من جهة، وبالآليات الواصفة والدلالية من جهة ثانية.

أما عن موضوع بحث التداولية المدمجة فيقرر ديكرو أن موضوعَها "ليس الحجاج بالمعنى العادي، وإنما الحجاج بالمعنى الفني ... يعني الخطاب بالمعنى الفني صنفًا مخصوصًا من العلاقات بين المضامين الدلالية تتحقق في الخطاب وتكون مسجَّلةً في اللسان، وتتميز العلاقة الحجاجية بكونها درجيّة أي إنها تربط سلالم"(٣٨) وهذه السلالمُ تُضاف إلى الروابط، والعوامل، والمواضع لتُشكِّل آليات البحث التداولي المُدمج، ووسائله، وتقنياته و"يكون مجالُ البحثِ عندهما هو الجزءُ التداوليُّ المدمجُ في الدلالة، ويكون موضوعُ البحثِ هو بيان الدلالة التداولية (لا الخبرية الوصفية) المسجلة في أبنية اللغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن"(٣٩)؛ إذ ينطلق التفكيرُ في البحث التداولي المدمج بدايةً من الملاحظة التي تشي بأن الدلالةَ اللغويةَ تتأثرُ بشروط استعمال اللغة، المتضمنة داخل اللغة نفسها، بما يعني أن التداولية المدمجة لا تهتم بالبحث عن الجوانب التداولية خارج اللغة وحسب، وإنما تُعنى بالبحث عنها داخل الأبنية اللغوية ذاتها؛ لأن اللغة إنما هي أفعالٌ تُنجز، وتتحقق بما تحمله من دلالة بمجرد النطق بها.

وأخيرًا فإنه من الجدير بالذكر أن التداولية المدمجة لم تنل حظها من الدراسة والبحث؛ لغموض المصطلح من جهة، وقلة المصادر _سواء المترجمة حولها، أو العربية_ التي تحدثت عنها من جهة ثانية.

آليات التداولية المدمجة ووسائلها وتقنياتها :

لكل اتجاه أو تيار معرفي مجموعة من الأسس أو الآليات والمرتكزات، التي ينهض عليها، ولعل من أهم الوسائل والتقنيات التي تقوم عليها التداولية المدمجة.

أولًا_ الحجاج: يُشكل الحِجاجُ حلقةَ وصلٍ بين عدد من العلوم على رأسها البلاغة، والتداولية، والفلسفة، والقانون ... وغيرها من العلوم والمعارف التي تحاول أن تجعل من الحجاج موضوعًا خاصًا بها كما أنه يُعد أداةً تخاطب وتفكير بالنسبة لها، ويُمثل مكونًا رئيسًا من مكونات البنية اللغوية لديها، ويُشكِّل فضاءً أساسيًا لحجاجية اللغة؛ حيث "إن ترابطَ الأقوالِ لا يستندُ إلى قواعد الاستدلال المنطقي، وإنما هو ترابطٌ حجاجي؛ لأنه مسجلٌ في أبنية اللغة ... فموضوع الحجاج في اللغة هو بيانُ ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونًا أساسيًا لا ينفصلُ عن معناه يجعل المتكلمَ في اللحظة التي يتكلم فيها يوجّه قولَه وجهةً حجاجية ما"(٤٠)؛ حيث لم تعد اللغةُ أداةً تعبيريةً أو تواصليةً وحسب وإنما غدت وسيلة تأثير، وإقناع؛ ولذا فإن مهمة الباحث في التداولية المدمجة هي استخراجُ الملامح التداولية المُتضمنة في البنى اللغوية والدلالية لاستنباط الأشكال اللغوية ورصد قيمتها التداولية وشروط وكيفيات استعمالها، فالحجاج متسترٌ في البنية اللغوية، وكامنٌ فيها، وهو عبارة عن متواليات لغوية وتعبيرية تُعَدُّ حججا يُفضي بعضها إلى بعض، ويدعم بعضها البعض قصدَ التأثير في المخاطَبين، وإقناعهم بنتائجها.

تأسيسًا على ما سبق يبقى الحجاجٌ واحدًا من اهتمامات البحث التداولي الكثيرة والمتشعبة، وينهض الحجاجُ اللغويُّ من خلال أعمال اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرDucrot، وزميله انسكومبر Anscombre عبر مصنفهما "الحجاج في اللغة"؛ إذ سعى الباحثان لتأسيس هذا الاتجاه بوصفه اتجاها لسانيا "يُعنى بدراسة الوسائل اللغوية، وإمكانات اللغات الطبيعية التي يمتلكها المُرسِل أو المتكلم؛ وذلك بقصد توجيه خطابه وجهةً ما تُمكنه من تحقيق عددٍ من الأهداف والأغراض الحجاجية؛ حيث إنها تنطلق من فكرة مفادها "**أننا نتكلم عادة بقصد التأثير، وأن الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج، وأن المعنى ذو طبيعة حجاجية**"(٤١)، وهي الفكرةُ التي تَمَّ تعميمها بعد ذلك على كافة الخطابات والأساليب اللغوية انطلاقًا من أن اللغة تؤدي عند ديكرو وظيفةً حجاجيةً، فالحجاجُ اللغويُّ "مؤسسٌ على بنية الأقوال اللغوية وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب"(٤٢)، ومن ثَمَّ فإن التسلسلات النصية واللغوية تشتمل على أطر حجاجية قارة؛ إذ يرتبط الحجاج بالسياق من ناحية، وبالوظيفة التي يؤديها هذا السياقُ من ناحية ثانية؛ إذ إن الحجاجَ اللغوي سياقيٌّ وتتحدد حجيته بالسياق، الذي تتفاعل معه الدلالةُ، وتنفصل فيه الدلالة عن التداول، وفي هذا تجاوزٌ لما هو لسانيٌّ صرف إلى ما هو تداولي؛ بغيةَ الوقوفِ على الدلالة الحقيقية للنص ومدى الكفاءة التواصلية للمخاطِب في بلوغ مقاصده والإقناع والتأثير بها، وهي الأمورُ التي أقصاها من قبلُ الدرسُ البنيويُّ المعياري، ومن ثَمَّ فإن الحجاجَ اللغويَّ عند ديكرو وانسكومبر يُعَدُّ بشكل أو بآخر

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

إحياءً للبنيوية ولكن في ثوب جديد، وهو ما يجعل الحجاج اللغوي مختلفا عن الحجاج البلاغي، الذي أسس له شاييم بيرلمان Ch.Perlman .

وعلى صعيد متصل فإن الباحثَ في التراث العربي والإسلامي يلحظ أن الحجاجَ قد دار في أفلاك علوم كثيرة كعلوم القرآن، والبلاغة، والفلسفة ... وغيرها من المعارف والتخصصات؛ إذ "صار الحجاج في الدراسات اللغوية والبلاغية الحديثة أوسع مجالًا، لا يقتصر دورُه على التوظيف الانتقائي باعتباره عنصرًا خارجيًا ثانويًا يوظف فقط في مواقف تواصلية معينة، بل تحول مع تيار التداولية المدمجة في الدراسات اللسانية إلى عنصر كامن في اللغة، إن من حيث بنيته أو من حيث وظيفته، وبهذا يصير الحجاج فعلا كلاميا تجب دراسته في نطاق دراسة اللغة لا في البحث عما هو واقع خارجها"(٤٣) وحسب.

ووصلًا بما سبق فإن الحجاج اللغوي يهدف إلى "تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تُستنتج منها"(٤٤)، بما يشي بأن العلاقة بين الحجة والنتيجة تنبني وفقا لما يراه المحاجج في النص، وتكون لغتُه التي يستخدمها لها نتائج خاصة وفقًا للمقام، الذي يُكسب الملفوظ قوةً حجاجية تبعًا لما يُريده المُخاطِب ويسعى إليه في ملفوظه، وبِناءً عليه "ترتبط القيمةُ الحجاجية لقول ما بالنتيجة التي يمكن أن يؤدي إليها، أي بتتمته الممكنة والمحتملة، ولا ترتبط بتاتًا بالمعلومات التي يتضمنها"(٤٥)

يُعنى الحجاج اللغوي أو ما يُعرف بالحجاج في اللغة بما يُنجز داخل النص من أقوال، وملفوظات، وتعبيرات بوصفه ظاهرة لسانية متضمنة في البنية اللغوية نفسها، ويدمج هذا التيار بين الجانبين التداولي والدلالي، و"يتسم بمجموعة من السمات لعل أهمها:

_ "السياقية، فالسياق هو الذي يُصيِّر العنصر الدلالي حجة، وهو في الوقت نفسه الذي يُكسبه الطبيعةَ الحجاجية.

_ النسبية، وتعني أن الحججَ نسبيةٌ في قوتها، فلكل حجة قوةٌ معينة ومن ثم تتوزع الحججُ وتتابين من حيث القوة، والضعف.

_ القابلية للإبطال، فالحجاج اللغوي مرنٌ وتدريجيٌّ بخلاف الحجاج البرهاني والمنطقي، الذي هو مطلقٌ وحتمي"(٤٦)

وبوصف القرآن خطابًا فإنه لا بُدَّ وأن يحوي حِجاجًا؛ إذ إن السمة الحجاجية من طبيعة الخطاب (أي خطاب ينبني على قواعد داخلية)، ومدارُ الحِجاجِ والإقناع بالدعوى في الخطاب هو الدليلُ، والمقصدية؛ "لأن معنى أي ملفوظ وحتى في الحالة التي نقدِّم فيها للكلمة مفهومها الأكثر ضيقا،

أي الأكثر نحوية، لا يمكن أن يُوصف دون استحضار مقصديات معينة لتلفظه"[٤٧]؛ بما يشي بأهمية التركيز في البحث التداولي على المقصدية، التي تتجلى عبر التبليغ، وهذا التبليغ لا يحدث إلا في مقام محدد.

الحجاج في اللغة إذن اتجاهٌ حجاجيٌّ، ومجال الدلالة الحجاجية فيه يكمن في البعد اللساني التداولي بوصفه مادة لغوية تُحيل إلى دلالة معبّرة، وهذه الدلالة تتصل بإحالة مرجعية أو سياقية وهو الأمرُ الذي يدمج الدلالة بالتداول، والتداول بالسياق _كما أسلفنا_؛ ولذا فإن الحجاجَ اللغويَّ من هذه الوجهة يُعَدُّ امتدادًا للدرس البلاغي، وتعويضًا له، وهو امتدادٌ له بوصفه نمطًا من البلاغة المختصة وتعويضٌ له؛ لبُعده عن الأحكام الجمالية المطلقة، ومحاولة صياغة هذه الأحكام والقوانين الداخلية صياغةً لغوية

وأخيرا فإن الحجاج اللغوي لا يعد الوظيفة الإبلاغية أو التواصلية الوظيفة الوحيدة للغة، بل توجد الوظيفةُ الحجاجية، التي هي أهم الوظائف اللغوية؛ إذ إنها تجعل الأقوالَ مترابطة، ومنسجمة، ومتسقة على نحو دقيق كما أنها تدعم بعضها البعض بما يعني أن الحجاجَ هو العاملُ الرئيس للقول اللغوي.

وقمينٌ بالإشارة هنا أن الحجاجَ اللغويَّ يرتكز على عددٍ من الروابط في عملية المحاججة والتأثير على المُخَاطَبين عبر استكشاف القواعد الداخلية للنص، التي تتحكم في بنائه وترابطه، وانسجامه؛ إذ تقع الروابطُ الحجاجيةConnecteurs argumentatif من اتجاه الحجاج اللغوي موقعًا مهمًا، ومتميزًا؛ حيث "يُعَدُّ الحجاجُ _حسب تعبير ديكرو_ فعلًا لغويًا مؤشرًا له بالروابط، والأدوات، وعبارات مهمتها القيام بعمليات حجاجية"[٤٨]، وتتمثل مهمة كُلُّ رابطٍ من هذه الروابط في ربط الحجج ببعضها أو ربط الحجج بنتائجها، أو إلى إحداث المحاججة والتأثير والإقناع، واستمالة المخاطبين فمهمة الروابط الحجاجية تكمن في نقل الملفوظات القولية من البنية التواصلية والإبلاغية إلى البنية التأثيرية والإقناعية، ومن ثَمَّ فإن مهمتَها ليست قاصرةً على إضافة معلومات للقول، بل تتمثل في إدراج حجج جديدة أقوى من الحجج المذكورة قبلها وجعلها أكثر فاعلية وتأثيرًا في أداء الدلالة المقصودة؛ لأن مسوغات هذه الروابط موجودة في البنى اللغوية، وليست خارجة عنها؛ نظرًا لما تؤديه هذه الروابط من دور كبير في الخطاب سواء من ناحية فهمه وتأويله، أو من ناحية توجيه هذا التأويل؛ إذ تتعلق هذه الروابط بالجانب التطبيقي، والمنحى الإجرائي بوصفها "أدوات تُسهم في تحديد العلاقة الخطابية بين المتكلمين من جهة وبين أطراف النص من جهة أخرى"[٤٩]

وقد عرَّف أبوبكر العزاوي هذه الروابطَ بأنها "تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح أو أكثر، وتُسند لكل قولٍ دورًا محددًا داخل الإستراتيجية العامة"(٥٠)

وينبغي في هذا السياق أن نفرق بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، فالأولى تربط بين وحدتين أو حجتين أو أكثر، وتُعطي لكل وحدة منهما دورًا داخل العملية الحجاجية، أما العواملُ فتقوم بحصر الإمكانات الحجاجية لقول ما وتقييدها، وعليه فإن العوامل الحجاجية هي مجموعة الأساليب التي تُحيل إلى وظيفة حجاجية وتُشير إلى "ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر، والنفي أو مكونات معجمية تُحيل في الغالب إلى الحجاج ...، أما الروابط فهي ما يربط بين الأقوال من عناصر نحوية مثل أدوات الاستثناء، والواو، والفاء، ولكن، وإذن"(٥١)

وقد عرَّف ديكرو، وأنسكومبر العامل الحجاجي بقولهما: "إن وجود بعض الصرافم في بعض الجمل يُعطيها توجيهًا حجاجيًا ... للوصول إلى نتيجة محددة دون غيرها"(٥٢)، بما يشي بأن الروابط والعوامل الحجاجية تصل المقدمات بالنتائج، وغايتهما الربط بين الوحدات اللغوية، والملفوظات؛ إذ يُقرر ديكرو "أن الروابط الحجاجية تخدم التوجهات الحجاجية، ولا سيما هي ليست شيئا مُضافًا إلى اللغة، بل إنها موجودةٌ في نظام اللغة الداخلي، وأن الروابط بصورة عامة لا تنحصر في وظيفة أُحادية فقط هي الأغراضُ اللغوية، ولكنها أيضًا تُؤدي أغراضًا استدلالية حجاجية، فضلًا عن وظيفتها الرابطة"(٥٣)، بوصفها أدوات تطبيقية وإجرائية.

وكغيرها من الآيات جاءت آياتُ الترغيب في الإيمان بالله في القرآن الكريم حاوية لعدد من الوسائل والآليات الحجاجية التي تهدف للتأثير في المتلقين، ومن ضمن هذه الوسائل تأتي الروابط والعوامل الحجاجية بوصفها تقنية مهمة من تقنيات الكشف عن الحجاج اللغوي في القرآن انطلاقًا من أن القرآن خطابٌ بُني على التأثير، والإقناع.

ثانيًا_ القصدية: يعود مفهوم القصدية Intentionnalit إلى الفيلسوف جون سيرل John Searle، وذلك حينما قال: "إن القصدية صفةٌ للحالات العقلية والحوادث التي يتم بها التوجه إلى موضوعات العالم الخارجي وأحواله أو الإشارة إليها ...، ولا يمكن وصف كل الحالات العقلية والحوادث أنها قصدية، فتعتبر المعتقدات والرغبات حالات قصدية، بينما لا تُعَدُّ الانفعالات غير المبررة حالات غير قصدية"(٥٤)

تُشكِّل القصديةُ مقومًا خطابيًا تشاركيًا؛ إذ إن منتج الخطاب يسعى دوما لغاية أو هدف معين يريد توصيله و"يرتكز دورُ المقاصد _كما يقول عبدالهادي بن ظافر الشهري_ بوجه عام على بلورة المعنى كما هو عند المرسِل؛ إذ يستلزم منه مراعاة كيفية التعبير عن قصده وانتخاب الاستراتيجية

التي تتكفل بنقله مع مراعاة العناصر السياقية الأخرى، وتكمن وظيفةُ اللغةِ هنا في تحقيق التفاعل بين طرفي الخطاب بما يُناسب السياق بمجمله، فتتضح المقاصدُ بمعرفة عناصره"[٥٥]؛ حيث إن القصدية تؤشر لمعنى الملفوظ كما يتضح في الخطاب.

وفي هذا الصدد يُسهم التحليلُ في بلورة التعبيرات المُرسلة، وكيفية بناء هذه التعبيرات، والتفاعلات الحاصلة بين طرفي العملية التواصلية (المرسِل، والمستقبل) استنادًا إلى "أن المقاصد هي لبُ العملية التواصلية؛ لأنه لا وجودَ لأي تواصلٍ عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل، ودون وجود إبداع أو على الأقل دون وجود توليف للعلامات"[٥٦]، وهو الأمرُ الذي يُحتم على المُحلل عدم تنحية السياق، الذي يسهم في بلورة العلاقة بين الدوال، ومدلولاتها.

ثالثًا_ المقول: ورد في القاموس الموسوعي للتداولية تعريف القول بأنه "ما يوافق جملة تتمّمها المعلوماتُ التي نستخرجها من المقام الذي تُلقى فيه، فالقولُ إذن نتاجُ إلقاء جملة ما، فإذا كانتْ الجملةُ موضوعَ اللسانيات، فإن القولَ موضوع التداولية"[٥٧]، بما يعني أنه ينبغي التمييز بين الجملة اللغوية التي ترتبط بالدلالة، والقول الدلالي الذي يرتبط بالتداولية.

أما فعل القول Locutionnary act فيُراد به "إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، ففعلُ القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المعهودة (المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي)"[٥٨]، بما يعني أن القولَ يساوي في ماهيته الفعل أو التلفظ، الذي يستند إلى مجموعة المستويات التي تضبط الاستعمال اللغوي؛ ذلك أن ""القولَ _كما يُقرر ديكرو في عبارته الشهيرة_ منطبعٌ في المقول، وتبعا لذلك فإن الملفوظ يلمح إلى التلفظ"، بمعنى أن الملفوظات التي ننتجها في نشاطنا اللغوي تتكيف مع طبيعة الفعل اللغوي، الذي تتولد عنه هذه الملفوظات"[٥٩]، وهو ما يشي بأن القيمة الدلالية للتعبيرات والجمل تتمثل في السياق، والمرجع الذي تُحيل إليه.

وعلى نحو متصل "وفي كتابه الموسوم بـ"القول واللاقول"، يعطي ديكرو للقول قيمة أكبر من مجرد نقل معلومة إخبارية، إذ حينما نطرح سؤالا، فإننا نقوم بشيء آخر غير إعلام المتلقي عن رغبتنا بالمعرفة، وهو أننا نلزمه بالإجابة، ونعطيه دورًا في الوقت نفسه الذي نختار فيه دورًا آخر، وحينما نطلق أمرًا، أو وعدًا، أو إذنًا... فإن اللسان langue، كما يرى ديكرو، ينطوي بذاته على قائمة من العلاقات البشرية التذاوتية interhumains وعلى مجموعة من الأدوار، أي على جهاز كامل من الاتفاقيات والقوانين التي تنظم التخاطب بين الأفراد"[٦٠]، فالفكرةُ الأساسية، التي تتمحور حولها التداوليةُ المدمجة هي _وبحد تعبير ديكرو_ "الطريقة التي تُؤول بها الأقوال (...) في السياقات المخصوصة التي تُستعمل فيها"[٦١]، ولكن تسبق هذا التأويل خطوةٌ أساسية ومهمة في

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

الحجاج اللغوي هي البحثُ عن المعنى اللغوي للكلمة في المعجم وتسجيل دلالتها، وهو الأمرُ الذي عدَّه ديكرو جوهرَ العملية الحجاجية، وبِناءً عليه صاغ مفهومَه عن الاقتضاء؛ إذ "تقوم فرضيةُ ديكرو على أن كلَ عملٍ لا قولي يفترض تحقيق عمل اقتضاء؛ لذلك فإن تحليل الاقتضاء يتحدد منذ المكون اللغوي باعتباره عنصرًا دلاليًا من القول"(٦٢)

يُضاف إلى ما سبق أن للاقتضاء وظيفةً جوهريةً في حيز العملية الحجاجية والتواصلية "فهو ييسر إدخال المخاطَب ضمن عالم اعتقادات المتكلم (أو الإيهام بذلك) بغيةَ فرض قوله وما يستلزمه حجاجيًا مِنْ طُرق في مواصلته"(٦٣)

من التنظير إلى التطبيق :

يظل القرآنُ الكريم عطاءً فياضًا يغترف منه الباحثون، والدارسون في شتى العلوم والمعارف، ووفق غالبية المناهج البحثية والاتجاهات، فهو المعجزةُ الإلهيةُ الخالدة، ويمثل نظمه، وأسلوبه أعلى درجات العناية بالمعنى، وأرفع مراتب الدقة في إيراد اللفظ الموضوع لهذا المعنى والمعبر به عنه وفق سياق إنجازي فريد، وعبر طرائق كثيرة سعت كلها إلى إقناع المخاطَب، والمتلقي والتأثير فيه.

وعلى نحو متصل فإن أي باحث يسعى جاهدًا أن يُقرن اسمه بتناول النص القرآني، وبخاصة إذا كان هذا التناولُ وفق اتجاه جديد، ويتضمن نتائج جديدة؛ إذ لا سبيل إلى تناول الخطاب القرآني _بوصفه تراثيًا_، ما لم يتم الارتكاز على اتجاه جديد، ومتميز عن غيره من الاتجاهات، التي تم تناول الخطاب القرآني من قبل بها وبخاصة عندما يتناسب هذا الاتجاه مع الخطاب القرآني انطلاقا من أن الخطاب (أي خطاب) كما يقرر بنفنيست Benveniste هو "كل قول يفترض متكلما وسامعا مع توافر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السامع"(٦٤)

وعلى الصعيد الموضوعي فقد حظي أسلوب الترغيب في القرآن الكريم على قدر كبير من اهتمام الباحثين والدارسين؛ إذ يشغل هذا الأسلوبُ مساحةً واسعةً من الخطاب القرآني، ويُشكل قطب الدائرة في الدعوة إلى الله (سبحانه وتعالى) لما له من صلة وطيدة بالنفس البشرية وما ركب فيها من غريزة الرجاء.

وعلى نحو أكثر تحديدًا فقد أورد الخطابُ القرآني الترغيب في مواضع وآيات كثيرة، وسوف يقتصر التحليل التداولي المدمج إجرائيًا في الصفحات الآتية على المعاني والدلالات التي وردت بشكل مباشر، والتي تمَّ إنجازها بطرائق عديدة، ووسمها بمزايا متعددة بغيةَ إقناع المُخَاطَب بالترغيب في الإيمان بالله وفقًا لما يقتضيه المقام، بما يشي بأن مادة البحث التطبيقية ستتضمن الآيات القرآنية التي تتحدث عن الترغيب في الإيمان بالله، دون التوسع في ضم الآيات التي تتحدث بشكل غير مباشر عن الوعد أو الوعيد أو غيرها من التي تتحدث عن أوجه وصور الإيمان الأخرى.

ووصلا بما سبق فإن للإيمان بالله في القرآن الكريم منزلةً عظيمة؛ إذ هي أعظم نعمة، فالمؤمنون بالله هم أولياؤه وأصفياؤه من الخلق، وقد استحوذ نداؤهم في القرآن "يا أيها الذين آمنوا" على النصيب الأوفى، وكان لهذا الفعل الكلامي التوجيهي الغلبة بوصفه محفزا للمتلقي للاستجابة لما يطرحه المتكلم من جانب، ومدخلا لباقي الأفعال الكلامية التي يرد بعدها الهدف المقصود بشكل مباشر من جانب آخر؛ ولذا جاء حديثُ القرآن إلى المؤمنين بالله وافيًا، كافيًا، وقد قرنه اللهُ بالعمل الصالح، والبشرة الطيبة التي تعد ثمرة الإيمان الحقيقي، ومن ثم سعى الخطابُ القرآني إلى ترسيخ الإيمان بالله في نفوس المخاطَبين، وحرص على استمالتهم إلى النتائج التي أوردها المُرسِل، وقد تضمنت هذه النتائج دفعهم إلى الفعل أو العمل بما استخلصوا من نصوص الآيات.

وعلى الصعيد اللغوي والدلالي يُحدد الجذرُ المعجمي "رغب" الجوانب العلائقية، والتفاعلية، والحوارية؛ إذ يتفاعل هذا الجذرُ بمشتقاته مع الدلالات والوظائف المتعددة ويؤكد مقاصدها وغاياتها من أجل تأسيس حوار قرآني يكرس للنزعة التأثيرية انطلاقًا من أن الخطاب القرآني كُتب بلغة طبيعية Ordinary Language، وقُصد به التوجه إلى البشر كافة، وينهض على المنطق والاستدلال ارتكازا على نمط العلاقة الواصلة بين المرسل والمستقبل، وما يستلزم ذلك من معرفة المقام، وما تُسهم به هذه المعرفة من جلاء للمعطيات الحجاجية؛ إذ لم يتخذ القرآن في إقامة حججه طريقة فردانية، بل قصد إلى التعدد في الآليات، والوسائل بوصفه خطابا تواصليا من جهة، وتأثيريا وإقناعيا من جهة ثانية.

إن قراءة آيات الترغيب في الإيمان بالله ودراستها في ضوء اتجاه التداولية المدمجة ليقود إلى مقاربة الرؤية الإلهية لترغيب عباده في الإيمان به ومحاولة إدراك هذه الرؤية بقوة ووضوح وفقًا للمنظور اللغوي عبر رصد البنى اللغوية في الآيات وتحديد آلياتها ووظائفها انطلاقا من أنها مكونة من حجج، ومن البدهي أن هذه الحجج تؤدي لنتائج محددة بوصف القرآن الكريم خطابا مؤسساتيا يُعين الإنسان على امتلاك الضوابط والقوانين الحاكمة والمنظمة لحركة الحياة والمجتمع، فالقرآن ليس خطابا لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث وحسب، بل تتمثل أهدافه في السعي للتأثير في المتلقين وتغيير سلوكهم عبر منظومة الأفعال الإنجازية، وهي المنظومة التي يحقق من خلالها البحثُ التداولي تفاعلات مهمة بين أطراف العملية الحوارية والتواصلية فثمة علاقة دائمة بين القول أو الفعل وما يُنجزه أو يُنتجه من معنى.

تأصيل مفهومي الترغيب والإيمان في الحقلين اللغوي والاصطلاحي :

الترغيب لغةً: يُشير الجذرُ اللغويُّ للترغيب إلى عدد من المفاهيم المتقاربة في إحالاتها المرجعية، المتباعدة في حيوزاتها الدلالية، فهو وحسبما ورد في معجم لسان العرب "رَغِبَ يَرْغَبُ رَغْبة إذا حرص على الشيء، وطَمع فيه، والرَّغْبة: السؤال والطمع ... ورَغَّبْه: أعطاه ما رَغِبَ ... والرَّغِيبةُ من العَطاءِ: الكثيرُ، والجمع الرَّغائب"(٦٥)

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

ومن نافلة القول إن "رَغِبَ إذا تعدى بحرف الجر "في" أفاد معنى الطمع في الشيء والحرص عليه، وكذلك إذا تعدى بحرف الجر "إلى" فإنه يُفيد هذا المعنى؛ إذ يُقال: رغب إليه، وهو من رغب فيه"[٦٦] أما إذا تعدى بحرف الجر "عن" فإنه يُفيد خلاف المعنى الأول "إذ يُقال: رغب عن الشيء، بمعنى زهد فيه ولم يُرِدْه"[٦٧]

والمقصود بالترغيب اصطلاحًا "كُل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه"[٦٨]، أو هو وبتعبير آخر وعدٌ للتحبيب والإغراء في مقابل النهوض أو القيام بعمل صالح، أو العزوف عن عمل سيء غير صالح، وذلك ابتغاء لمرضاة الله (عز وجل)، وطمعًا في رحمته.

وبعد فإن غاية الترغيب في الإيمان بالله في القرآن الكريم هي تبيان أن يتعرف الإنسان إلى حقيقة ما ينتظره من ثواب، وجزاء، إذ يرتبط مفهوم الترغيب بمفهوم الثواب من حيث إن ما يؤول إليه الترغيب هو الوعد بالخير، والبُشرى بالثواب؛ ولذا يرتبطان معًا على أن الترغيب يأتي قبل الفعل أو يسبقه، أما الثواب فيأتي بعد الفعل ويلحق به كنتيجة له.

أما الإيمان لغة "فهو مصدر آمن يُؤمِنُ إيمانًا، فهو مُؤمِنٌ. واتفق أهلُ العلمِ من اللُّغويين وغيرهم أن الإيمانَ معناه التصديق"[٦٩]، فالإيمان إذن وفقا للمعنى المعجمي واللغوي معناه التصديق ويدل نقيضه (الكفر) على ما يُخالف التصديق، وهو التكذيب.

وعلى صعيد السنة النبوية فقد جعل النبي (ﷺ) أصل الإيمان ستة أشياء في خبر جبريل حين سأله فقال: ما الإيمان؟ والخبرُ معروفٌ، وقد أخرجه الإمامان البخاريُّ ومسلمٌ قال: "أن تؤمن بالله وحده، وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورُسله، وتُؤمن بالبعث"[٧٠]

تُعَدُّ كلمةُ الإيمان من الكلمات المحورية في آيات الترغيب في الإيمان بالله بالقرآن الكريم، وقد كان لهذه الكلمة دورٌ حجاجي لغوي في كل الآيات التي ورد فيها الفعل انطلاقا من مقتضاه المعجمي، كما هو موضحٌ بالجدول الآتي:

المقتضى المعجمي لكلمة آمن	دلالة المقتضى المعجمي لكلمة آمن	حجاجية كلمة آمن
التصديق، والدخول في الأمانة، والمطابقة والموافقة بين النية التي يعتقدها الإنسان فيما ينطق به ويُجليه باللسان، وينهض به عملًا.	ثبوت أمر الإيمان ومبدأه التصديق، وخروجه من دائرة التكذيب والنفاق والرياء قولًا، وعملا.	إضفاء صفة الإيمان على المُتَصِفُ بها، واتهام نقيضه بالتكذيب، والكلمة في ذاتها حجةٌ في تحسين التصديق، وتقبيح التكذيب.

وعلى الصعيد التطبيقي والإجرائي؛ فستعمد الصفحات القادمة إلى قراءة الآيات القرآنية، التي ورد فيها الترغيب في الإيمان بالله (سبحانه وتعالى) _وفقًا لترتيب ورود الآيات بالمصحف الشريف_ وتحليلها في ضَوء منهج التداولية المدمجة.

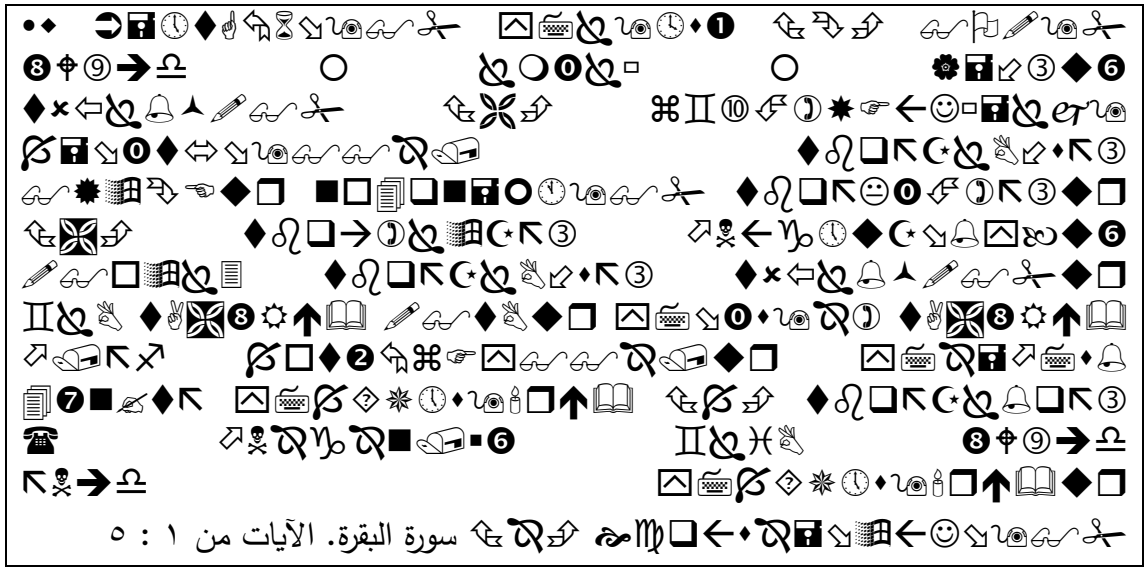

ذلك اسم إشارة مكاني للبعيد (مكون لغوي) جاءت للتعظيم (مقتضى بلاغي)، وهي "إحالة مقامية _على حد تعبير هاليدي M.A.K.Halliday ورقية حسن (١٩٣١ : ٢٠١٥م)_ أي أن العنصر المُحال إليه يكون حاضرًا في الخطاب بالقوة، وليس بالفعل"[٧١]، وقد ذهب الزَّرْكَشيُّ (أبو عبدالله بدرالدين محمد بن بهادر (ت ٧٩٤هـ)) إلى أنه "توجد مناسبة بين فاتحة سورة البقرة "آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه" وأن الإشارة هنا إلى الصراط في الفاتحة "اهدنا الصراط المستقيم""[٧٢]، وهذه المناسبةُ تعد عاملا حجاجيا يربط بين بنيتين كليتين.

في الآيات السابقة تبيانٌ لمنزلة القرآن الكريم، ونفي الريب عنه، ومعنى الريب "الشك وأصل الريب القلق، واضطراب النفس ... ولما كان الشك يلزمه اضطراب النفس وقلقها غلب عليه الريب فصار حقيقة عرفية"[٧٣]، ثم يتواصل المقامُ عبر أداة الوصل "الذين" للترغيب في الإيمان وتبيين سمات المتقين، التي هي الإيمانُ بالغيب وإقامة الصلاة والإنفاق والإيمان بما نُزل على محمد (ﷺ) والإيمان باليوم الآخر، ثم تنتهي الآيات بتقرير نتيجة واضحة جراء المقدمات والحجج المتساندة السابقة، وهي أنهم على هدى وأنهم المفلحون، ولا يخفى ما للتأشير من قيمة ملفوظية فالتأشير "مصطلحٌ تقني يستعمل لوصف أهم الأشياء التي نقوم بها أثناء الكلام"[٧٤]

ووصلا بما سبق فقد استخدم التعبيرُ القرآني اسم الإشارة ذلك، الذي هو اسم إشارة للبعيد للدلالة على علو مكانة المُشار إليه ورفعة منزلته ثم استخدم (أل) التي للعهد الذهني في لفظة (الكتاب) للدلالة على القرآن الكريم، وقد جاء المبتدأ (ذلك)، والخبر (الكتاب) معرفتين للحصر الدلالي، أي

قصر الحديث على كتاب محدد هو القرآن، وقد تَمَّ نفي الريب عنه عبر الجملة المؤكدة (لا ريبَ فيه)، التي جاءت وفق مبدأ كمال الاتصال لا الانفصال؛ لذا لم يستخدم التعبير القرآني أيًّا من حروف العطف وإنما بدأت الآيات بالوصف المشتمل على ملفوظ إخباري تقريري _حسب تصنيف سيرل_ "وبيان ذلك _كما يقول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)_ أنه نبه أولًا على أنه الكلام المتحدى به، ثم أُشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال (ذلك الكتاب) فكان تقريرًا لجهة التحدي، وشدًا من أعضاده ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب، فكان شهادة وتسجيلا بكماله؛ لأنه لا كمال أكمل ممّا للحق واليقين، ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة"(٧٥)

أما قوله "هدى للمتقين" فقد جاءت كلمة هدى كاستعمال لغوي، ولفظي متفرد حيث إنها "اسم مصدر الهَدْى وليس لها نظير في لغة العرب إلا سُرى وتُقى وبُكى ولُغى ... وهي الدلالة التي شأنها الإيصال إلى البغية"(٧٦)، وقد استعمل التعبيرُ القرآنيُّ الاسم بدلًا من الفعل؛ لما يتوافر في الاسم من ميزات لا توجد بالفعل "فالاسمية دالةٌ على الثبوت كما هو معلوم، وهي أقوى وأدوم من الفعلية"(٧٧)، وقد جاءتْ الكلمةُ على سبيل التنكير للدلالة على تعظيم الكتاب/القرآن حتى صار هداية خالصة أو محضة، وقد وُضع المصدر "هدى" مكان الوصف المشتق منها "هاد" دون التقيد بزمن الحدث للدلالة على أن هذا الكتاب سيظل صالحا لهداية الناس في كل زمان، وفي أي مكان وأنه مع بلوغه النتيجة النهائية في حدث الهداية قد صار الهدى أو المصدر نفسه، وهو الأمرُ الذي يتبدى في حذف المسند إليه (هو)، والإبقاء على المسند الهدى للإيجاز وللدلالة على اتحاد المسند بالمسند إليه اتحادًا كليًا، ولا يخفى ما للحذف من وظيفة وأهمية تتمثل في نقل العناية والاهتمام من المسند إليه إلى العناية بالمسند انطلاقا من أن الحذف اختيارٌ لغوي، وتفردٌ أسلوبي ينبني على وعي المتكلم أو المرسل بقيمة هذا الاختيار، وبسياق استعماله التداولي بوصفه آلية مهمة من الآليات اللسانية للحجاج اللغوي انطلاقا من أن المحذوف في النص لا يقل أهمية عن المذكور؛ إذ إنه يُسهم في توجيه الملفوظ وتقوية هذا التوجيه وتدعيمه نحو النتيجة، التي يتم التصريح بها، فدلالة الخطاب التكاملية والتواصلية لا تتحقق إلا على الوجهين: الملفوظ المنطوق، وغير الملفوظ الضمني معًا وليس على وجه واحد منهما(*)

وعن الإيمان بالله في الآيات فإنه يدخل في قوله تعالى: "الذين يؤمنون بالغيب" ففي الآية إيجاز قصر؛ إذ إن قضية الغيب تُعَدُّ من أهم قضايا العقيدة، والإيمان بها يُحقق أعلى درجات الإيمان، وهو من جوامع الكلم؛ لأنه "هو الأصل في اعتقاد إمكان ما تُخبر به الرُسل عن وجود الله والعالم العلوي، فإذا آمن به المرءُ تصدى لسماع دعوة الرسول وللنظر فيما يبلِّغه عن الله تعالى فسهل

عليه إدراك الأدلة"[٧٨]؛ لذا يدخل الإيمان بالله فيه دخولًا أوليًا، ولا يُترك أمره للرسول (ﷺ) وقوله، وإنما تتحدد مقولاته وقضاياه عبر الوحي، "والمراد بالغيب ما لا يُدرك بالحواس"[٧٩]

وعلى صعيد متصل فقد أسهمت الأفعال الإنجازية الإخبارية _وفق تصنيف أوستين_ في الآيات الكريمة (يؤمنون، ويقيمون، ويُنفقون، ويوقنون) في أنها نقلت للمُخاطب وقائع القضية التي يُعبر عنها، واتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم وفقًا لمبدأ الإيضاح والحالة النفسية؛ حيث إن ظاهر الآيات الوصف والتقرير وتبيين صفات المؤمنين إلا أنها تتضمن المدحَ والثناء انطلاقًا من أن هذه الأفعال تحوي نتيجة الاعتقاد، وقضية العقيدة وعلى رأسها الإيمان بالله؛ ولذا جاء الحضورُ الملحوظ لصيغة الفعل (يفعلون) متناسبًا ومتلائما مع مقصدية المخاطب؛ حيث إن هذه الصيغة بمثابة آليةً لغويةً تمت الاستعانة بها للدلالة على التجدد والاستمرار، كما أن توالي هذه الصيغة في المقطع القرآني يشي بالتشابه الأسلوبي، وهو ما يدلل على ترابط المقطع وتماسكه.

أما عن الرابط الحجاجي (الواو) فهو من الروابط الحجاجية المتساوقة أو المتساندة، وقد شكل هذا الرابط أداةً قوية لربط الحجج ببعضها، ولم يقتصر دوره في جمع الحجج وحسب، وإنما امتد لتنسيق البنى الداخلية للنص، وتتابع الأقوال، وتدرجها بغيةَ الوصول لنتيجة محددة يرومها المخاطِب أو المُرسِل ويوجه بها حججه ويقويها؛ إذ إنها من الروابط الحجاجية الداعمة لعدد من الحجج المتساندة قصد الوصول لنتيجة محددة، وهو أيضًا من الروابط الواصلة، التي سماها فان دايكVan Digk "روابط التشريك"، وحدد وظيفتها في "تكوين جمل مركبة من جمل بسيطة، وعلى ذلك فعمل هذه الروابط هو حصول الإجراء الثنائي"[٨٠]، ويستطيع الباحثُ تمثيلَه في الآيات السابقة عبر المخطط الآتي :

ح ١	يؤمنون بالغيب
الرابط الحجاجي	الواو
ح ٢	يقيمون الصلاة
الرابط الحجاجي	الواو
ح ٣	مما رزقناهم ينفقون
الرابط الحجاجي	الواو
ح ٤	الذين يؤمنون بما أُنزل إليك
الرابط الحجاجي	الواو
ح٥	ما أُنزل من قبلك
الرابط الحجاجي	الواو

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

ح٦ بالآخرة هم يوقنون

ن (النتيجة) أولئك على هدى من ربهم، وأولئك هم المفلحون

ووصلًا بما سبق فقد جيء باسم الإشارة (أولئك) للبعيد للدلالة على علو درجتهم، ورفعة منزلتهم والتعظيم من شأنهم، وقد تكرر وروده "ووجه تكرير اسم الإشارة التنبيه على أن كلتا الأثرتين جديرةٌ بالاعتناء والتنويه، فلا تُذكر إحداهما تبعا للأخرى بل تُخص بجملة وإشارة خاصة ليكون اشتهارهم بذلك اشتهارًا بكلتا الجملتين وأنهم ممن يُقال فيه كلا القولين"[٨١]

وأخيرًا فقد أحدثَ الالتفاتُ من صيغة الغياب إلى صيغة الحضور في الآيات تقويةً وتدعيمًا وتصديقًا لحكم الهداية، والفلاح ليكون هذا الحكم أو هذه النتيجة بمثابة البشارة من الله (سبحانه وتعالى) لعباده المؤمنين به، وما يمثله الالتفات من نزعة حجاجية وتأثيرية تتبدى عبر الانتقال من أمر إلى أمر وما يحدثه هذا الانتقال من تأثير على أفق انتظار المخاطَب.

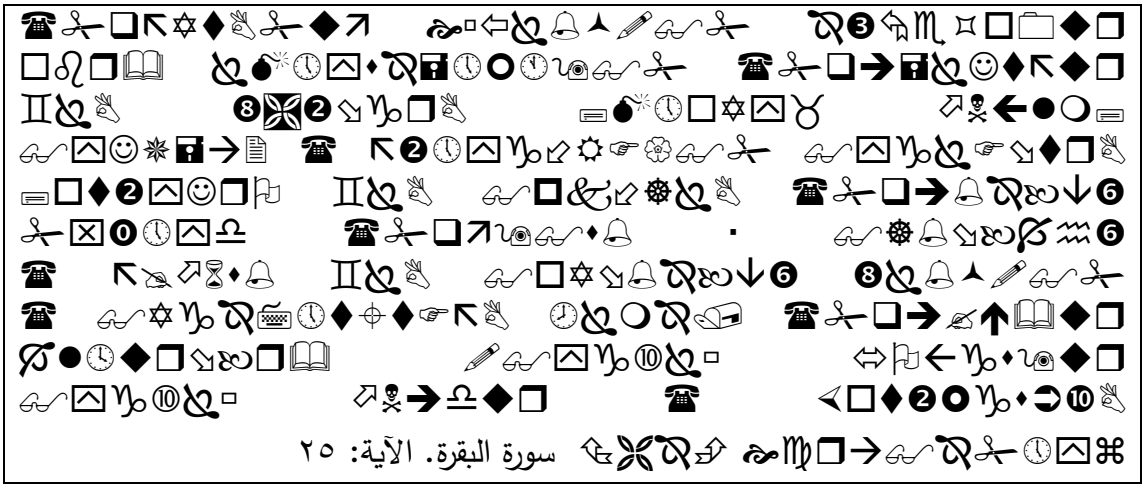

نزلتْ الآيةُ الكريمةُ في المؤمنين، "وذلك أن الله تعالى لمَّا ذكرَ جزاء الكافرين بقوله: "النار التي وقودها الناسُ والحجارة أُعدت للكافرين" ذكر جزاء المؤمنين"[٨٢]

بدأت الآية بفعل الأمر (بشر) وهو فعل قولي إنجازي ضمني _على حد وصف أوستين_، و"الأمر معناه : طلبُ الفعلِ بصيغة مخصوصة"[٨٣]، وقد ورد في الطراز للعلوي (ت٧٤٥هـ) تحديد الأمر بأنه "صيغةٌ تستدعي الفعلَ أو قولٌ يُنبئ عن استدعاء الفعل من جهة الاستعلاء والالتزام"[٨٤]، وقد ذاعَ هذا الفعلُ في الخطاب القرآني بوجه عام، وورد في آيات الترغيب في الإيمان بالله بشكل خاص للترغيب في الفعل المأمور به من حيث إن أسلوبَ الأمرِ إنجازٌ ضمني؛ لأنه يُوجه المخاطَب إلى هدف، وسلوك محدد تنطوي عنه الطاعة والتنفيذ، وتداوليته مناسبة للمقام، وذلك لأنه يكون صادرًا من جهة أعلى تحثوا العقلَ على الفعل.

والتبشير معناه "الإخبار بالأمر المحبوب فهو أخص من الخبر"[٨٥]، وقد ورد الفعل بصيغة (أفعل)، التي تعد أقوى صيغ فعل الأمر، وذلك قصد التأثير، والإقناع.

وعن الأثر التداولي الذي يحققه فعلُ الأمر في آيات الترغيب في الإيمان بالله، فإنه يعكس التفاعل القائم بين طرفي الخطاب، ويُجلي الطبيعة التداولية للخطاب القرآني، وهو فعلٌ ينطوي عنه الطاعة والتنفيذ _كما أسلفتُ_ كما يُعَدُّ من أفضل الأساليب اللغوية لمناسبته لحال المتكلم به أو المخاطِب انطلاقا من منزلته العليا التي يتبوأها، مما يترتب عليه أنه يقع موقعًا حسنًا من أسماع متلقيه ونفوسهم؛ لأنه يصدر من جهة عليا، ويتضمن توجيهًا يتعلق بأمر مهم هو الإيمان بالله.

وعلى الصعيد التطبيقي فقد ربطَ فعلُ الأمر "بشر" في الآية الكريمة بين قضيتين (ق١، وق٢) فاتقاءُ النارِ التي أُعدت للكافرين في الآية السابقة لهذه الآية (ق١)، وبشرى المؤمنين في هذه الآية (ق٢) هما بمثابة فعلين إنجازيين ضمنيين يحققان عملين مختلفين باختلاف أطراف العملية التواصلية؛ "وذلك لأن من عادته (عزوجل) في كتابه أن يذكر الترغيب والترهيب، ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط لاكتساب ما يُزلف والتثبيط عن اقتراف ما يُتلف، فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب، قفّاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي"[٨٦]، وقد تضمن هذا الفعل وعدًا من الله (سبحانه وتعالى) لعباده المؤمنين بالخلود في الجنة، والتمتع بثمرها، ورزقها.

أما حرف العطف الواو، الذي يسبق فعل الأمر فهو من قبيل عطف الجملة على الجملة إذ جعل جملة "وبشر" معطوفة على مجموع الجمل المسوقة لبيان وصف عقاب الكافرين، يعني جميع الذي فُصل في قوله تعالى: "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا" إلى قوله: "أُعدت للكافرين"، فعُطفت مجموع الأخبار عن ثواب المؤمنين على مجموع الأخبار عن عقاب الكافرين والمناسبة واضحة مسوغة لعطف المجموع على المجموع، وليس هو عطفا لجملة معينة على جملة معينة الذي يطلب معه التناسب بين الجملتين في الخبرية والإنشائية"[٨٧]

ويأتي تكرارُ لفظ الرزق؛ لإبراز الحجة وتجلياتها بوصف التكرار أو المعاودة بعدًا حجاجيا له دورٌ تأثيري، وإقناعي ولا سيما عندما يتكرر حضوره في النص، فتصبح له قوة في سبك النص، وتوكيده؛ "لأن الكلام إذا تكرر تقرر"[٨٨]، والتكرار الوارد في نصوص الترغيب في الإيمان بالله بصفة عامة، وهذه الآية على نحو خاص "ليس هو ذلك التكرار المولد للرتابة والملل، أو التكرار المولد للخلل والهلهلة في البناء، ولكنه التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية بناء أو الكلام الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانزمات عملية إنتاج الكلام، وهو أيضا التكرارُ الذي يضمن انسجام النص وتوالده وتناميه"[٨٩]، وقد تَمَّ التكرارُ في الآية عبر ترديد لفظة الرزق لشحن الآية بطاقة دلالية تُفضي إلى توكيد الرزق؛ لأن الانطلاقة الحجاجية في الآية هي الرغبة في الوصول إلى الجنة وما فيها من رزق، ولعل في تكرار لفظة الرزق أكثر من مرة ما يؤكد أنها

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

حجج معتمدة تشي بأن الرزق لا يأخذ في الآية دلالة واحدة أو معنى واحد وإنما له دلالات كثيرة، وهو ما يُسهم في تنامي النص، وانسجامه، وترابطه.

وعن العطف فيما بين الإيمان والعمل الصالح "فليس العطف تكريرا لمجرد التأكيد، وهو مألوف في العربية، وإنما يكون فيه تنبيه إلى قيمة عمل الصالحات، وموضعها من الإيمان، فكأنه من التخصيص بعد التعميم"(٩٠)، ولا يخفى ما للدلالة الضمنية لهذا التخصيص بعد التعميم من دور في النص؛ إذ هي عاملٌ حجاجي يمثل أحد أنماط أو أشكال الترابط الحجاجي في النص.

وأخيرًا فإن في قوله تعالى "وهم فيها خالدون" تذييلٌ، والتذييل كما يُقرر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) هو "أن يُؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول؛ تحقيقًا لدلالة منطوق الأول أو مفهومه"(٩١)، وهو يمثّل ظاهرة لغوية وأسلوبية لافتة في القرآن الكريم بصفة عامة، وآيات الترغيب في الإيمان بالله بشكل خاص، وقد أدى هذا التذييلُ في الآية دورًا حجاجيًا مهمًا، وقد تمثل هذا الدورُ في تقوية الكلام وتأكيده، وبه ختمٌ لسلسلة الأفعال الكلامية الواردة في النص والانتقال منها إلى الوعد الحقيقي، وهو الخلودُ في الجنة.

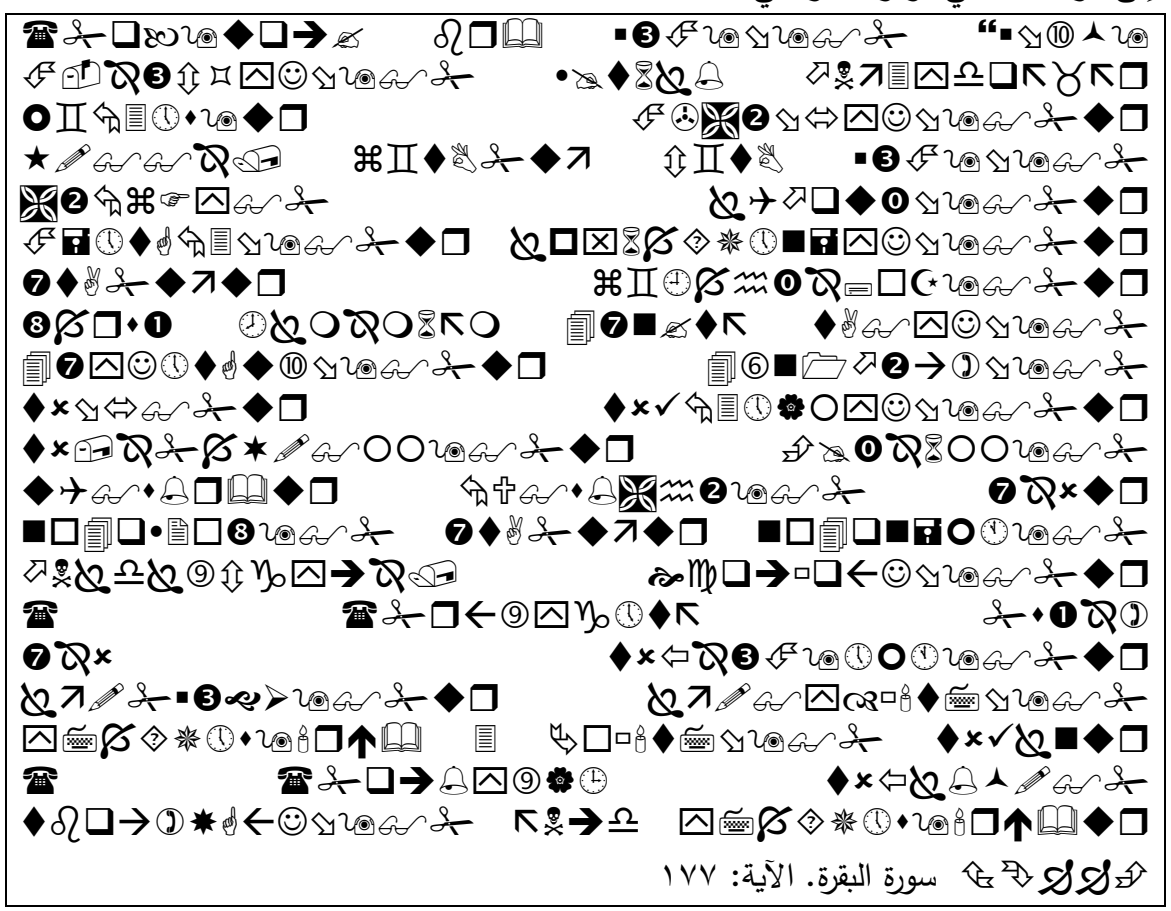

سورة البقرة. الآية: ١٧٧

ورد في أسباب النزول للواحدي (ت ٤٦٨هـ) أن هذه الآية قد نزلت في المؤمنين؛ إذ سأل رجلٌ النبي (ﷺ) عن البر، فأنزل اللهُ عليه هذه الآية، فدعا الرجل فتلاها عليه، وقيل إنها نزلت بسبب إنكار الكفار على المسلمين تحويلهم القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة"[٩٢]

بدأت الآية الكريمة بتقديم خبر ليس (البر) على اسمها (أن تولوا وجوهكم)، وفي هذا التقديم دلالة على ملائمة المقام، ورعاية حال المخاطبين، الذين اعتقدوا أن البر هو التولية (تولية القبلة) فجاء التعبيرُ القرآني مناسبًا لحالهم، وعمد مباشرة إلى تقديم الخبر (البر) قصدًا لنفي معتقدهم ومناسبة للمقام، ورعاية لحال المخاطبين ففي الآية الكريمة "توجيه للمؤمنين وتلقين لهم الحجة على أهل الكتاب في تهويلهم على المسلمين إبطال القبلة التي كانوا يصلون إليها، وفي ذلك تعريض بأهل الكتاب"[٩٣]

ولعل الجمع بين واو العطف ولكن الاستدراكية يرجع للتخصيص؛ إذ تؤدي الواو العاطفة مهمةَ الاعتناء بالمُستدرك، وبيان أهميته والجد في تحصيله والوصول إليه، وحينئذ يُصبح بر من آمن بالله إيمانًا خالصًا لا شائبة فيه، والاستدراك يعني "أن تنسب حكمًا لاسمها _أي: لكن_ يُخالف المحكوم عليه قبلها، كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر خفت أن يُتوهم من الثاني مثل ذلك فتداركت بخبره إن سلبا أو إيجابا، ولا بد أن يكون خبر الثاني مخالفا لخبر الأول لتحقيق معنى الاستدراك"[٩٤]

أما الرابطُ الحجاجيُّ "لكن" فهو من الروابط المدرجة للحجج القوية "التي تربط بين قولين يختلفان في درجة القوة وتُفيد الاستدراك فيما يُتوهم أنه داخلٌ في الخبر، فتكون الحجة التي قبلها تؤدي إلى نتيجة ما، والحجة التي تجيء بعدها تؤدي إلى ضد النتيجة الأولى؛ إذ تستجمع الحجةُ الثانية قوتَها من قوة الرابط لكن"[٩٥]، وقد قنن ديكرو هذا الرابط الحجاجي عبر قاعدة هي "إذا كانت (ق) تخدم نتيجة (ن)، و(ك) تخدم نتيجة (لا _ ن) فإن (ق) لكن (ك) تؤدي حتما إلى (لا _ ن) بحيث (ق)، و(ك) حجتان، والاستدراك بـ(لكن) يوجه دلالة القول إلى النتيجة المضادة"[٩٦]، ولذلك يكون فعلُ الرابط الحجاجي (لكن) تبديل المنحى أو المسار الحجاجي، وتغيير اتجاهه.

وبتحليل الرابط الحجاجي في الآية يتبين لنا أنها وقعت بين حجتين كلتاهما تخدم نتيجة ضمنية إلا أن الحجة، التي جاءت بعدها (البر من آمن بالله واليوم الآخر) أقوى من التي قبلها (أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب)، فوظيفة لكن في الآية هي الإنحدار غير الإيجابي، أي أنها تسيرُ في غير صالح النتيجة الأولى لصالح النتيجة الثانية، ويمكن تمثيل هذا التعارض الحجاجي في الخطاطة الآتية :

حجة (١) لكن حجة (٢)

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

(ليس البر) ـــ (البر من آمن بالله)

(النفي) لا _ ن (الإثبات)

(النتيجة المضمرة)

ووصلًا بما سبق فقد تَمَّ تكريرُ "البر" تأكيدًا للإثبات والتعضيد واحتجاجا على علو منزلته وشأنه من جهة وربطًا له بالإيمان بالله، وهو ترابطٌ لغوي وصيغي غير منفصل من جهة ثانية.

أما تقديم الإيمان بالله على باقي المعطوفات (اليوم الآخر، والملائكة ...) ففيه ما يدل على تقديم السبب على المسبب؛ إذ إن الإيمان بالله هو الأصل أو السبب الذي ينتج عنه باقي صور الإيمان وأنواعه وبخاصة الإيمان باليوم الآخر الذي يرد في أكثر مواضع القرآن الكريم تاليًا للإيمان بالله، ويرتبط به وقد "أخر سبحانه الإيمان باليوم الآخر عن الإيمان بالله؛ لأنه لا تتحقق حقيقة الإيمان بالله إلا باليوم الآخر؛ لتلازم المبدأ أو المعاد ورجوع كل منهما إلى الآخر"[٩٧]

أما عن الوصل في الآيات فإنه يُعَدُّ آلية لسانية حجاجية، ووسيلة اعتمد عليها المخاطِب لتبليغ مقصده، وقد عرَّف عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) الوصلَ بأنه "عطف جملة فأكثر على جملة أخرى بالواو خاصة لصلة بينهما في المبنى والمعنى أو دفعا للبس يمكن أن يحصل"[٩٨]، وقد أسهمتْ الواو في اتساق الحجج وتنظيمها وترابطها باتجاه النتيجة الكلية (أولئك الذين صدقوا، وأولئك هم المتقون).

وفي ضَوء مقام التلقي وسياقه قد تَمَّ تذييل الآية بتركيبين لغويين خاصين، (هما حالة التصديق والصادقين، وحالة التقوى والمتقين) مسبوقين باسم الإشارة "أولئك"، الذي يعد عنصرا إشاريا محددا وهو عنصرٌ موجه للجماعة أو الفئة المقصودة بالخطاب وعلى رأسهم "من آمن بالله"، وهذا العنصر الإشاري يترسخ بواسطة الملفوظ في سياق التلفظ من جهة، ويُسهم في تحديد مقام المحادثة من جهة أخرى، فالجملتان "أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون" ملفوظان تقريريان وصفيان تتمثل قوتُهما في إثبات الصدق والتقوى إلى الذين آمنوا بالله ...، وتمييزهم والتنبيه على علو طبقتهم، ورفعة منزلتهم.

وفي السياق ذاته فقد أسهم تكرار العنصر الإشاري "أولئك" _بوصف هذا التكرار آلية من الآليات اللسانية والحجاجية_ في توفير طاقة حجاجية إضافية ساعدت بدرجة قوية في إقناع المخاطَب وحمله على التصديق، والإذعان، والتسليم بأطروحة المُرسِل.

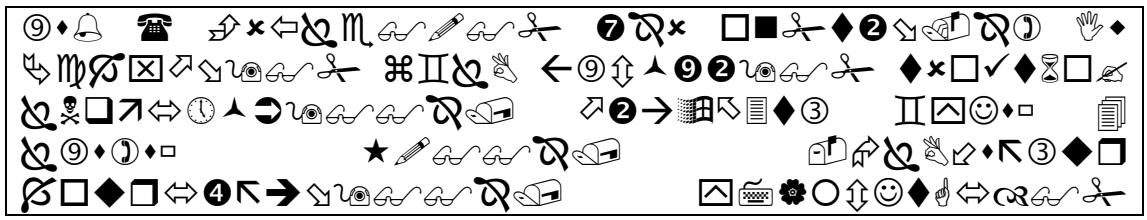

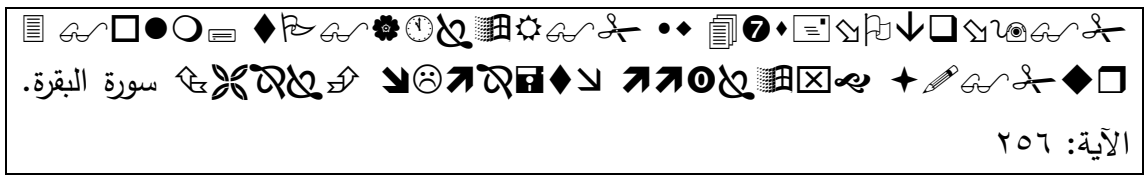
سورة البقرة. الآية: ٢٥٦

جمع ربُنا في هذه الآية بين الترهيب من الكفر، والترغيب في الإيمان به في وحدة لغوية واحدة وواصلة، وقد جاءت هذه الآية استئنافا على ما قبلها، ومناسبة نزولها تقول حسبما ورد في أسباب نزول القرآن للواحدي (ت ٤٦٨هـ) أنها "نزلت في رجل من الأنصار كان له غلام أسود يُقال له: صُبيح، وكان يُكرهه على الإسلام"[٩٩]

يتضمن ملفوظ الآية قوة إنجازية، وقد تمثلت هذه القوة في أسلوب النهي المؤكد في قوله تعالى: "لا إكراهَ في الدين" وهو ما يتلائم مقاميًا مع سبب نزول الآية؛ لأن نفي الإكراه بمنزلة الخبر في معنى النهي عن الإكراه، والإكراه كما يقول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): "أي لم يُجر اللهُ أمرَ الإيمان على الجبر والقسر، ولكن على التمكين والاختيار"[١٠٠]

اشتملت الآية أيضا على فعل إعلاني جاء بعد الرابط الحجاجي (حرف التحقيق، والتوكيد "قد" مُضافًا إلى الفعل الماضي "تبين") وهو قوله: "فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله"، فالفاء تفريعة على ما تقدمها. أي: إذا علمتم أو أُعلنتم هذا فلا تكفروا بالله؛ لأن من يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فإنه يفوز وهذا هو مغزى الإعلان في الآية، وجدوى التفريع فيها، ويعني التفريع أن "يذكر المرسلُ حجته كليا في أول الأمر، ثم يعود إلى تفنيدها وتعداد أجزائها إن كانت ذات أجزاء، فكُلُّ جزءٍ منها بمثابة دليلٍ على دعواه"[١٠١] يُضاف إلى ما سبق أن التفريعَ يُحاول الإجابةَ على سؤالٍ يدورُ في ذهن المخاطَب، وتدفعه هذه الإجابة على التسليم والإذعان لما يطرحه السؤال من قضية أو موضوع، فالبنية الكلية للنص القرآني السابق تمحورت في قضية كلية "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" ثم تفرعت هذه القضية إلى أقسام.

أما الطاغوت فهي "الأوثان، والمسلمون يسمون الصنم الطاغية، وفي الحديث "كانوا يهلون لمناة الطاغية" ويجمعون الطاغوت على طواغيت، ولا أحسبه إلا من مصطلحات القرآن، وهو مشتقٌ من الطغيان، وهو الارتفاع والغلو في الكبر... والوثقى المحكمة الشد... والرُشْد الهدي وسداد الرأي"[١٠٢]

وفي التعبير اللغوي "لا انفصامَ لها" مطابقة للمقام؛ إذ الانفصام أولى من الانقطاع، وقد جاء التعبيرُ القرآنيُّ دالًا على فعل كلامي مباشر هو "الإخبار" لكن هذا الفعل يتضمن وراءَه فعلا آخر هو الحث على التثبيت، والنهي عن الانفصام، وذلك وفق نسق لغوي استدلالي وتداولي يتآزر فيه نفيُ الانفصام مع توكيد هذا النفي؛ قصد محاولة التمسك بالإيمان بالله والترغيب فيه ضمن المسافة اللغوية المسكوت عنها مُسبقا.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

ووصلا بما سبق فإن جملة "والله سميع عليم" تذييلٌ يردع عن الكفر، ويحمل على الإيمان، ويجمع ما سبق من الوعيد (الترهيب)، والوعد (الترغيب)، ولا يخفى ما للتذييل من دور حجاجي ، يتمثل في تأكيد الكلام وتقويته، والربط بين الذيل والحمل، وتؤدي الواو الواصلة (رابط حجاجي) دورا رئيسا _استنادا على الاستعمال الدلالي للتعبير القرآني_ ذلك أن الواو تسيرُ في اتجاه التعليل للمقدمة المكونة من فعل الشرط وجواب الشرط، وتجيء الواو تعليلية لهذه النتيجة "فقد استمسك بالعروة الوثقى"، ولا يخفى ما للتعليل من أهمية في هذا المقام؛ إذ هو نوعٌ من أنواع الحجاج اللغوي وآلية مهمة من آلياته.

وأخيرا فإن الآية رغم قصرها إلا أنها حوت عددًا كبيرًا من الروابط والعوامل الحجاجية بدايةً من أسلوب الشرط، وحرف التحقيق والتوكيد مُضافًا إلى الفعل الماضي، وحرف العطف أو الوصل "الواو"، والتذييل الحجاجي وقد جاءت هذه الروابط والعوامل مندمجة مع حاسة التصوير البلاغي والحسي البصري والاستعاري من خلال تصوير المؤمن بالله متمسكًا بالحبل المتين، الذي لا ينفصم، ولا يخفى ما للاستعارة في هذا التعبير القرآني من قوة حجاجية وتداولية؛ إذ إن الاستعارة لها علاقة وطيدة بمفهوم القوة الحجاجية، وطبقا لهذه القوة فإن الحجج متفاوتةٌ وأعلاها قوةً الأقوالُ الاستعارية، وتستقي الاستعارة في النص قوتها التداولية لا من نقل اللفظ من دلالة لأخرى وحسب بل بتجاوزها ذلك لمحاولة دمج اللفظ بالدلالة الجديدة، والتأثير بها على السامع وإقناعه بها في سياقها الجديد، الذي يتفق وقصد المُرسِل من أطروحته، وهو ما يؤكد أن الاستعارة الواردة في النص قد جمعت بين مستويين فني بلاغي، ولغوي تداولي وهو الأمرُ الذي أدى إلى فعالية حجاجية مركبة، وعميقة.

سورة آل عمران. الآية: ٥٧

أسلوب أما

وفي قوله تعالى: "فيوفيهم أجورهم" التفات للغيبة؛ إذ إن الخطاب قبلها "فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا"، ولا يخفى ما لدلالة التقرير، والإثبات في الجملة القرآنية السابقة إضافة إلى أن مراعاة الخطاب للمقال كان لها وقعها في اختيار درجة الفعل الإنجازي الكلامي (يوفي) الموجه لمن سبقه، وقد أسهم الالتفات كما أسلفتُ في نقل الخطاب لوجهة مختلفة بغية التأثير، والتدعيم.

أما الفاء فتُعَدُّ من الروابط الحجاجية التي لها القدرة على توجيه المتلقي، وتعديل سلوكه نحو قبول النتيجة؛ لقدرتها على ربط الأفكار ربطًا سببيًا، وهذا الربطُ قد ولد استدلالا مباشرا أثار انتباه المخاطَب، واستوجب اصغائه، "والتقدير فنوفيهم أجورهم في الدنيا والآخرة، وتوفية الأجور في الدنيا تظهر في أمور كثيرة: منها رضا الله عنهم، وبركاته معهم، والحياة الطيبة، وحسن الذكر"(١٠٣)، وقد أُستخدمت الفاء في الآية كرابط حجاجي يصل المقدمة بنتيجتها.

وفي قوله "ويوفيهم أجورهم" استعارة تمثيلية مثَّل فيه المخاطِب عملَ المؤمنين الصالحين بقوم قاموا بآداء عملهم المكلفين به ومن ثم أخذوا أجورهم كاملة، ولا يخفى على المتلقي ما يحتله حجاج التمثيل من أهمية في التشكيل، والإقناع والتأثير؛ إذ يُعَدُّ أحد الطرق الحجاجية، التي تهدف إلى ضم الأفكار والمعاني وربطها، وهو الأمرُ الذي تنبه له قديمًا شيخُ البلاغيين عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) حينما قرر أن "التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهةً، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلَفاً، وقَسَر الطِّباع على أن تُعطيها محبّة وشَغَفاً، فإن كان مدحاً، كان أبْهَى وأفخم ...، وإن كان ذمّاً، كان مسُّهُ أوجعَ، ومِيسَمُه ألذع، ووقعُه أشده ...، وإن كان حِجابًا، كان بُرهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبَيَانه أبْهر"(١٠٤)، كما لا يخفى أن التمثيل لا يقتصر دورُه على الحِجاج البلاغي وإنما يمتد أيضًا إلى اتجاه التداولية المدمجة من حيث إن للتمثيل دورا في آداء المعنى، وفي ترابط هذا المعنى، والتأثير والإقناع به.

وفي قوله: "والله لا يحب الظالمين" تذييلٌ حجاجي، وهذا التذييل يُقرر أهمية ما قبله دلاليا؛ إذ "إن انتفاء محبة الله للظالمين يستلزم أنه يحب الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ فلذلك يُعطيهم ثوابهم وافيا"(١٠٥)، وقد جيء به للتنفير من الظلم، والترغيب في الإيمان والشكر.

وأخيرا فقد شكَّل الإيجاز في الآية الكريمة خصيصة ترابطية مما جعلها أقدر على التأثير في المخاطبين، والتعلق بذاكرتهم سواء أكانوا قراء أم مستمعين.

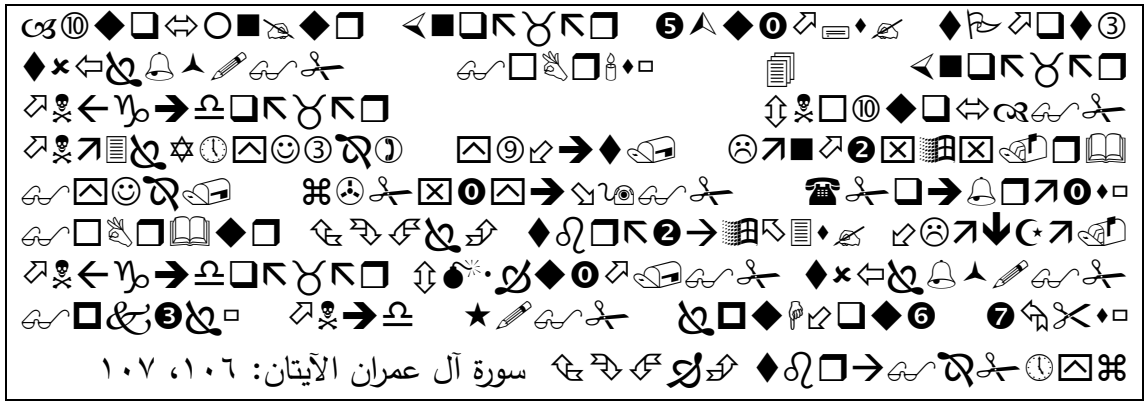
سورة آل عمران الآيتان: ١٠٦، ١٠٧

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

بدأ النص القرآني بظرف منصوب على الظرفية تأشيرا للثبوت، والتحقق أعقبته كنايةٌ تدل على "تهويل لأمر وتشويق لما يرد بعده من تفصيل أصحاب الوجوه المبيضة والوجوه المسودة ترغيبا لفريق، وترهيبا لفريق"(١٠٦)، ولا يخفى الدور الذي أدته الكناية في التعبير القرآني كونها تشتمل على دلالة ضمنية يرمي إليها المتكلم، وأخرى حرفية تتبدى ظاهر التلفظ؛ ولذا تندرج الكناية ضمن الأفعال التلميحية التي تعد قرينة تداولية تسهم في تحديد المهمة النحوية والبلاغية للتركيب أو الملفوظ انطلاقًا من المعطى المقامي وما يُقدمه من اقتضاء يسهم في تحليل القول؛ حيث إن تقديم البياض على السواد "تشريف لذلك اليوم بأنه يوم ظهور رحمة الله ونعمته، ولأن رحمة الله سبقت غضبه، ولأن في ذكر سمة أهل النعيم عقب وعيد غيرهم حسرة عليهم إذ يعلم السامعُ أن لهم عذابا في يوم فيه نعيم عظيم"(١٠٧)، بالإضافة لما تمثله المخاطبة باللون من نزعة إقناعية، وتأثيرية.

ومن ناحية أخرى يعد حُسن التقسيم في الآية عاملًا من العوامل الحجاجية، وهو عاملٌ يدعم الوظيفة الحجاجية؛ إذ جاء المتعددُ مجملًا ثم ورد تقسيمُه وبيانُ حكم كل قسم على التعيين.

أما الاستفهام الإنكاري في قوله "أكفرتم بعد إيمانكم" فإنه يُعَدُّ حجة لغوية لفائدة نتيجتُها متضمنة هي ثبوت الكفر عليهم، ومأتى هذا الثبوت مجيئه للإنكار والتوبيخ؛ إذ إن الاستفهام الوارد في الآية لم يأت للحصول على إجابة، وإنما يعد حجة خادمة لنتيجة، فقد حقق حضورُ الهمزة الاستفهامية مع ما بعدها دلالة منفرة للكفر بعد الإيمان وهي دلالةٌ تحمل مقتضى تداوليا لدى المخاطبين مفاده طلب استبعاد نقيض النفي (الإثبات)، الذي يشكل في التعبير دلالة غير منطقية.

وعن الفاء الداخلة على فعل الأمر "ذوقوا" فهي للسرعة وقد ورد الفعل الإنجازي الطلبي للتنفير، واستعمله القرآن بوصفه دلالة حسية، وقد تم تصوير العذاب شيئا محسوسا يمكن تذوقه زيادة في التهكم والاستنكار، وورد الاستعمال التعبيري لقصدية جلية خادمة للاستفهام السابق ومعضدة له؛ إذ إن الطاقة الحجاجية للفعل ذوقوا لا تتمثل في الدلالة الحرفية المباشرة للفعل بل بما يخفيه هذا الفعل من دلالة غير حرفية أنتجها السياق التداولي، الذي ورد فيه.

يتبقى من التحليل عرض المقتضى الناشئ عن الاستفهام الحجاجي(*)، ويمكن رصده عبر ما حققه الاستفهام في الآية من محاولة إبطال حجة (الكفر بعد الإيمان)، وإثبات حجة (لا تكفروا بعد الإيمان) وبهذا الإثبات حقق الاستفهام قوة إنجازية في النص، ويمكن صياغة هذه القوة في الآية على نحو استدلالي كما يلي:

مقدمة (١)	وجوههم مسودة
مقدمة (٢)	كفروا بعد إيمانهم
نتيجة (ن)	يستحقون العذاب لكفرهم

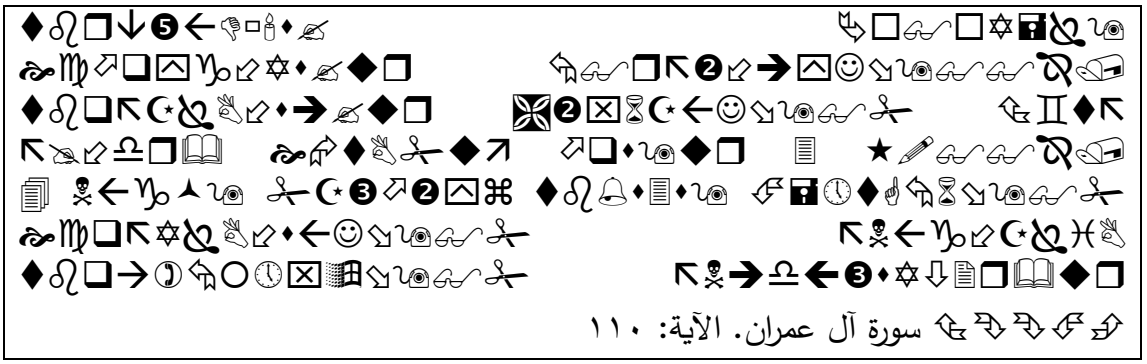

سورة آل عمران. الآية: ١١٠

نزلت هذه الآية "في ابن مسعود، وأُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حُذيفة، وذلك أن مالك بن الصيف ووهب بن بوذا قالا لهم: إن ديننا خيرٌ مما تدعوننا إليه ونحن خيرٌ وأفضل منكم، فأنزل الله (سبحانه وتعالى) هذه الآية"[١٠٨]

بدأت الآية بتوجيه الخطاب إلى الناس كافة عبر قوله تعالى: "كنتم خير أمة"، وجعل المخاطِب الخيرية متحققة في الموجه لهم الخطاب تحققًا شبه مشروط بقوله: "تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله"، "والمُراد بأمة عموم الأمم كلها على ما هو المعروف في إضافة أفعل التفضيل إلى النكرة أن تكون للجنس فتُفيد الاستغراق"[١٠٩]

وعلى صعيد ملائمة مقام الكلام Speech event لمقتضى الحال فقد تم تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله؛ "لأنهما الأهم في هذا المقام المسوق للتنويه بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحاصلة من قوله تعالى: "وليكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" والاهتمام الذي هو سبب التقديم يختلف باختلاف مقامات الكلام ولا يُنظر فيه إلى ما في نفس الأمر؛ لأن إيمانهم ثابتٌ محققٌ من قبل"[١١٠]

وقد بُني الفعل أُخرجت للمجهول لدفع المُخَاطب إلى الاهتمام بالحدث أو الموقف ذاته، ومحاولة توقيع أعلى درجة من درجات التأثير والإقناع على المخاطَب استنادًا على أن الفعل المبني للمجهول يكتنز في ذاته دلالات توحي بقيمة الحدث، وتدعو إلى التفكير فيه؛ إذ ليس المقصود التركيز على الفاعل فهو معلومٌ للناس من قبل، وإنما المقصودُ نقل العناية والاهتمام (بواسطة بناء الفعل للمجهول) إلى الحدث الذي سيجيء بعده وهو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله وما يتطلبه هذا الحدث من استرعاء المخاطَب واستجلابه.

وقد جاءتْ الأفعال (تأمرون، وتنهون، وتؤمنون) بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار، والتجدد وهي أفعالٌ تتضمن معنى الأمر، وهو ما يُؤكدُ أن هذه الأفعال "يكون لازمها مفهوما من الخارج، ومن قرائن الأحوال، ونتيجة لآثارها، فهي إذن بمثابة النتائج المتحصل عليها من متضمنات القول التي هي في الأصل مترتبة عن تلقي فعل الكلام، وليس عن فعل الكلام

ذاته"[١١١]، وقد تضافرت هذه الأفعالُ في الترغيب في الفعل؛ ولذا تُعَـدُّ ذات صلةٍ وثيقة بالحجاج، بوصفها تهدف إلى توجيه المخاطب إلى سلوك معين، وموقف محدد تحدده أطروحه المخاطِب، وهذه الأفعالُ يتم إدراكُها عن طريق الاستلزام، وقرينة الحال.

إن حمل الفعل الطلبي معان إضافية ليؤكد أنه توجد أفعال لغوية ترد بصيغة غير مباشرة، ولا يتطابق فيها دالُ المنطوق مع مدلول المفهوم كالمتمثل في الأفعال الواردة في الآية؛ إذ "إن مدلول الجملة في اللغات الطبيعية إذا رُوعي ارتباطها بمقامات إنجازها لا ينحصر فيما تدل عليه صيغها الصورية من استفهام، وأمر، ونهي، ونداء إلى غير ذلك من الصيغ المعتمدة في تصنيف الجمل، ويعني هذا بالنسبة للوصف اللغوي أن التأويلَ الدلاليَّ الكافي لجمل اللغات الطبيعية يصبح متعذرًا إذا اكتفي فيه بمعلومات الصيغة وحدها"[١١٢] بما يعني أن المخاطِبَ قد يستخدمُ فعلًا لغويًا غير مباشر من خلال أفعال أخرى لمناسبتها للمقام، وهذا الأمرُ مما يتم إجرائه في الخطاب القرآني بوجه عام، وفي آيات الترغيب في الإيمان بالله بشكل خاص.

وقد تقدمت النتيجة في الآية على ثلاث مقدمات تساندية، ويمكن ترتيب هذه المقدمات المسبوقة بالرابط الحجاجي واو العطف كما بالخطاطة الآتية :

ن كنتم خير أمة أُخرجت للناس

ق٣ (و) تؤمنون بالله

ق٢ (و) تنهون عن المنكر

ق١ (و) تأمرون بالمعروف

ووصلا بما سبق فقد تضمنت الآية الكريمة أسلوبًا شرطيًا، ورد عبر أداة الشرط لو، وقد جاءت اللام جوابا لها، ولا يخفى ما لأسلوب الشرط من قوة حجاجية وإقناعية.

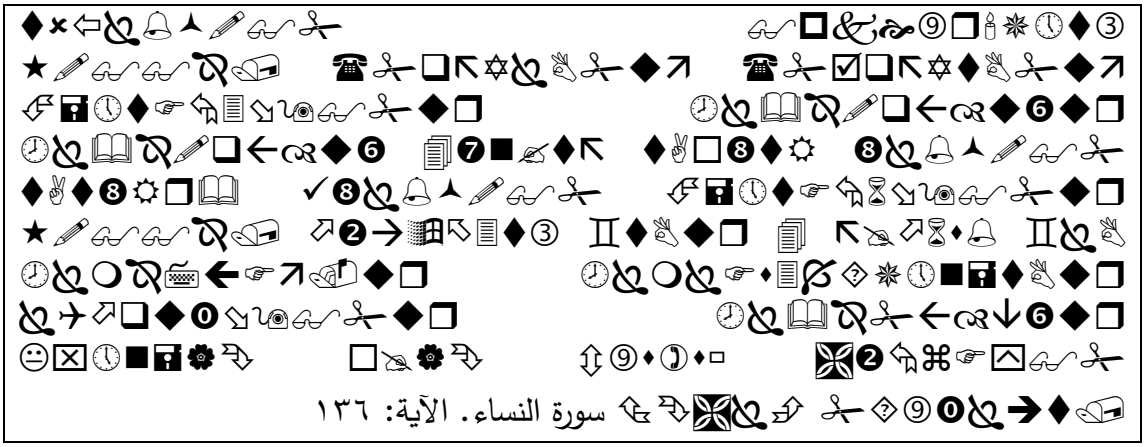

تهدف الأفعالُ الكلاميةُ في أي خطاب أو نص لغوي إلى تحقيق مهمة أساسية هي الإنجاز، قصدًا للتأثير في المخاطَبين، وفي سلوكهم؛ وهذا ما يجعل التحليل التداولي المدمج حريصًا على

استحضار أفعال الكلام، ومحاولة تحليلها؛ بغيةَ الوصول إلى رصد العلاقة القائمة بين منتج الكلام أو المتكلم والفعل اللغوي من جهة، والفعل اللغوي والمخاطَب من جهة ثانية، وهذا التحليلُ لن يتم إلا من خلال فهم معنى الفعل، ودلالة استعماله.

بدأت الآية بفعلين إنجازيين صريحين، ومباشرين: النداء الذي يستلزم معنى التنبيه وبخاصة وروده في بداية الآية؛ كي يستحضر المخاطَب ذهنه ويفهم ما يُوجه إليه بداية من خطاب، والأمر وهما فعلان طلبيان (أو يمكن القول إنهما: طلب مركَّب) يندرجان تحت قائمة الطلبيات Directives _حسب تصنيف أوستين_، ويتميزان بالوضوح التعبيري عن قصد المتكلم وهو الترغيب في الإيمان بالله، "وجاء في صلة وصف الكتاب "الذي نزل على رسوله" بصيغة التفعيل، وفي صلة الكتاب "الذي أنزل من قبل" بصيغة الإفعال تفننا، أو لأن القرآن حيئذ بصدد النزول نجوما، والتوراة يومئذ قد انقضى نزولها"[١١٣]، وهو التحليلُ الذي يتناسب مع مقام نزول الآية تمامًا بتمام؛ إذ جاء في سبب نزولها أنها وُجهت لمؤمني اليهود فقد رُوي عن ابن عباس _رضي الله عنهما_ "أن هذه الآية نزلت في عبدالله بن سلام، وأسد وأُسَيْد ابني كعب، وثعلبة بن قيس، وسلام بنت أخت عبدالله بن سلام، وياميين بن يامين؛ إذ أتوا رسول الله (ﷺ)، وقالوا: نؤمن بك وبكتابك وبموسى وبالتوارة وعزيز، ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل، فقال رسول الله (ﷺ): بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله، فقالوا: لا نفعل، فنزلت، قال: فآمنوا كلهم"[١١٤]

وعن مجيء الفعل الكلامي على هذه الصيغة الطلبية لحتمية وقوع المرغوب فيه، كما أنه يُعَدُّ دعوةً صريحة ومباشرة للمخاطبين بتبني موقف واضح ومحدد وتحويله إلى موضوع وفعل منجز، ومن ثم زخر الفعلُ الطلبيُّ بطاقة حجاجية وتواصلية كبيرة، فالمتكلم بوصفه مالك سلطة الخطاب يطلب من المخاطَبين الاقتناع، ويحملهم على الإذعان، وهذا الطلب يقتضي فعلا إنجازيا هو الإيمان، ولما كان المخاطَبون معتقدين بالموضوع الأول والثاني دون باقي الموضوعات (كما هو وارد في سبب نزول الآية)؛ لذا لجأ المتكلم إلى تفصيل القول في باقي الموضوعات ووصلها عن طريق حرف العطف أو الوصل "الواو".

أما "مَنْ" في قوله "ومن يكفر بالله وملائكته" فهي صيغة لغوية تُعَدُّ من صيغ العموم، وتقع هنا موقع اسم الشرط، الذي يُشكِّل أسلوبه بنيةً من البنى اللسانية والمنطقية التي تتطلب حضورَ علاقة ربط بين طرفين (فعل الشرط وجوابه) وفقًا لأداة الشرط المستخدمة، والجملة بتمامها تذييلٌ، وهو في النص السابق من قبيل الاعتراض على الرأي الصحيح، فتذييل الكلام بذكر ضلال من يكفر بالله بعد قوله: "آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل" يُشير إلى أن إيمانهم هو سلامةٌ لهم من الكفر والضلالة، ومن ثم فقد أدى التذييل في الآية دورًا حجاجيًا، وقد

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

تمثل هذا الدور في تقوية الكلام، وتأكيده بدرجة كبيرة؛ لوجود علاقة ربط إحالية بين الذيل، والحمل.

وفي قوله: "فقد ضل ضلالا بعيدا" جاءت قد، التي هي حرف تحقيق وتوكيد والفعل الماضي بعدها لتُشكل رابطا حجاجيا مركبا يدل على اتصال العلة بالمعلول أو ربط علة نزول الحكم أو النتيجة (الضلال البعيد) بفعل المحاجة الذي يسبقها (يكفر بالله)؛ إذ إن كل حكم أو نتيجة وفقًا لاتجاه التداولية المدمجة لا بُدَّ له من فعل أو حجة مقدمة عليه، مع العلم أن الحكم أو النتيجة قد يسبقها أكثر من فعل أو حجة.

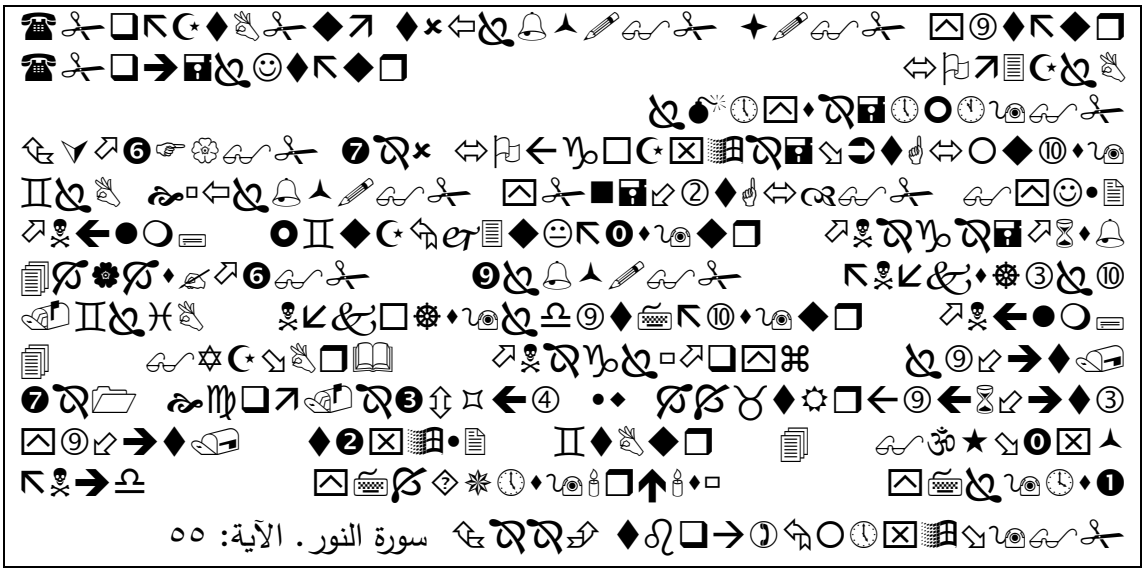
سورة النور. الآية: ٥٥

جاء في أسباب نزول القرآن للواحدي (ت ٤٦٨هـ) أنه "قدم النبي (ﷺ) وأصحابه المدينة، وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة: فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله (عزوجل)، فأنزل الله تعالى هذه الآيات"[١١٥]؛ ولذا جاء فعل التعهد "وعد" متناسبا مع سبب نزول الآية، ومن ثم جاءت العملية التلفظية متوافقة في سبيل آداء الفعل المطلوب، ويتمثل هذا الفعل هنا في رفع الخوف، والترغيب في الإيمان بالله، والخطابُ "موجهٌ _كما يقول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)_ لرسول الله، ولمن معه ... وعدهم الله أن ينصر الإسلامَ على الكفر ويؤرثهم الأرض، ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة، وأن يمكّن الدين المرتضى، وهو دين الإسلام وتمكينه : تثبيته وتوطيده، وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه"[١١٦]

ووصلًا بما سبق ينتمي الفعل الإخباري "وعد" إلى أفعال التكليف أو الوعديات Commissives _على حد تعبير أوستين_ أو الالتزاميات على حد تعبير جون سيرل_، التي يعني "غرضها الإنجازي التزام المتكلم بفعل شيءٍ ما في المستقبل واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات وشرط الإخلاص هو القصد Intention ويدخل فيها الوعد، والوصية"[١١٧]، وهذا الوعدُ الصريح

لفظًا قد تم تدعيم قوته الإنجازية بإسناده إلى لفظ الجلالة (الله) بما يُؤشر بوقوعه، وتحققه، وبما يحمل المخاطَب على تصديقه؛ بوصفه صادرًا عن جهة عليا، وينتمي لصيغة لغوية متحققة؛ إذ إن "الكذب يختص الماضي والحاضر، والوعد إنما يتعلق بالمستقبل فلا يدخله الكذب"(١١٨)

وعن الواو المستعملة في قوله "وعملوا الصالحات" فهي للعطف على قوله: "الذين آمنوا" وتدخل معها في مقام القول (الوعد) وتتحد معها في الخبرية (لفظا ومعنى)، وقد تَمَّ تعريف الصالحات وجمعها؛ "كي يشعر كُلُّ مؤمنٍ أنه بإمكانه الاتيان بشيء منها فلو قصرها على نوع معين لما تيسر اتيانها للجميع، ولكي يكثر المؤمنُ منها فيزداد فرحةً وغبطة لقرب تحقق الوعد المنتظر فيسعى للإكثار منها فتزداد طرق الصالحات والخير"(١١٩)

أما قوله تعالى: "ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم" فقد جاء مفصلا لقوله: "وعد الله..."، و"الاستخلاف: جعلهم خلفاء، أي عن الله في تدبير شؤون عباده ...، والسين والتاء للتأكيد، وأصله: ليخلفنهم في الأرض"(١٢٠)، وتم تأكيد هذا القول بعدد من المؤكدات التي أكسبته إقناعا وتأثيرا خطابيا بداية من القسم المحذوف الداخلة على جوابه اللام بتقدير: أقسم الله ليستخلفنهم، وقدم الجار والمجرور قصدَ التشويق لمعرفة ما سيأتي بعده، والفائدة ببيان أن الموعود به من المنافع، ثم باللام الداخلة على جواب القسم، ثم نون التوكيد الثقيلة، ثم بآلية التنظير التي تعد عاملا مهما من العوامل الحجاجية، التي تعني إلحاق النظير أو الشبيه بما يناظره أو يشبهه، وهو الأمرُ الذي تحدث عنه الإمام جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) حينما قرر أن "إلحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء"(١٢١)، وقد ورد التنظير الحجاجي في قوله تعالى: "كما استخلف الذين من قبلهم"؛ حيث أدى هذا التنظير دورًا حجاجيًا جامعًا بين بنيتين لغويتين ومقاميتين (سابقة ولاحقة)، و"هذا الأسلوب في الإخبار من شأنه إنشاء برهنة كاملة يُقال لها: "برهنة بواسطة التناظر"، وهذه البرهنة تُحدث تأثيرًا تمثيليًا قويًا ومحببًا، يؤدي وظائف حجاجية مهمة مثل: التفسير، أو التبرير، أو التحفيز، أو التحذير، أو غير ذلك"(١٢٢)

ووصلًا بما سبق فقد أدت الروابط والعوامل الحجاجية المُستخدمة في الآية دورًا مهما في تمكين الثقة في الوعد الإلهي وتثبيتها في نفوس المخاطَبين، وترغيبهم في الإيمان، وهو الأمرُ الذي أدى إلى طرح الوعود، فكان الوعد بـ"تمكين الدين"، الذي يأتي من قبيل مراعاة قاعدة المقام البلاغية؛ إذ جاء الوعدُ ملائمًا لما سبقه وهو الاستخلاف في الأرض، وهذا التلاؤم يتساوق جنبًا إلى جنب مع البنيتين اللغويتين؛ حيث يقتضي الاستخلافُ التمكين، وكلتا البنيتين تعبران عن المعنى بدقة واضحة وجلية، ويتناسبان مع المقام، الذي استوعب كافة التأكيدات السابقة.

وبالبحث عن دلالة استخلف في المعجم نجد أنها لفظ "مشتق من "خلف"، والخلافة هي النيابةُ عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف وعلى هذا الوجه

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

الأخير استخلف اللهُ أولياءَه في الأرض"[١٢٣]، وهي بيانٌ توضيحي للوعد، ونتيجة له في الوقت نفسه.

يأتي بعد ذلك رابطُ العطفِ في قوله: "وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا"؛ إذ يمثل حرفُ العطفِ الواو رابطًا حجاجيًا بين التعبيرين القرآنيين مع وجود الجامع المقامي بينهما، وهو اتحادهُما في الفئة الموجه لها الخطاب (المُخَاطَبة) وقد تم تقديم الخوف على الأمن؛ لمناسبته للمقام، إذ إن المقام كما ورد في سبب النزول هو مقام خوف.

ووصلا بما سبق فقد جاء التذييلُ الحجاجي في الآية بداية من قوله: "ومن كفر بعد ذلك" للربط الحجاجي، ولتقوية المعنى وثبوته؛ إذ عبَّرَ عنها بالفعل الماضي "كفر" لتحقق حصوله، ولمناسبة المقام؛ فجاءت هذه الجملة معطوفة على "لا يشركون بي شيئا"، ليتحد التعبيران في الخبر (لفظا ومعنى).

أما قوله تعالى: "فأولئك هم الفاسقون" فقد جاء اسمُ الإشارة للبعيد، وجاءتْ الفاءُ العاطفة للربط واطلعت بمهمة حجاجية؛ إذ يُلاحظ أن الفاء ربطت بين الحجة (الكفر)، والنتيجة (الفسق)، وليس على المُخَاطَبين إلا تغيير اعتقادهم ليتحقق عمل الحجة بوصفها قولًا تأثيريًا، أداتها ورابطها الفاء، التي هي للترتيب والتعقيب.

وبعدُ فقد جمع النصُ القرآنيُّ بين أسلوبي الترغيب والوعد، والترهيب والوعيد، وقد بدأ بالترغيب الذي تضمن وعدًا تفرع إلى عدد من العناصر بيانها بالخطاطة الآتية:

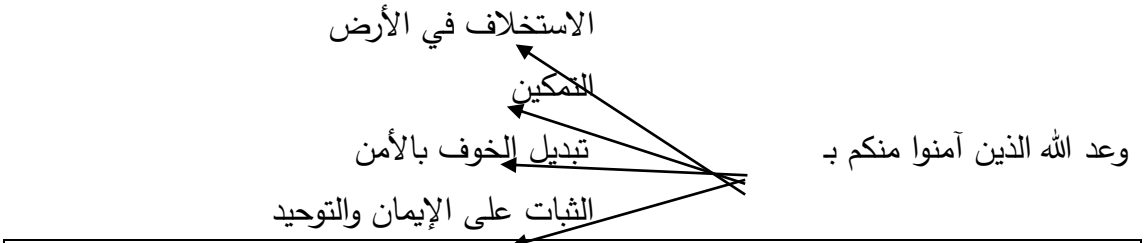

سورة الزمر. الآيتان ٧٣، ٧٤

يرسم النص القرآني في الآيتين السابقتين صورةً مشهدية وحوارية تتجلى من خلالها موضوعة الترغيب فيرى المخاطَب المؤمنين بالله ويتابع حركتهم، ويسمع حوارهم، ويرقب حالهم.

بدأت الآية الأولى بالفعل "سيق"، وهو فعلٌ مبني للمجهول حُذف فاعله، وقام المفعولُ به مقامَ الفاعل؛ بغيةَ التركيز على الحدث، وللمدح والتعظيم، وهو الأمرُ الذي يتبدى في جملة الصلة "الذين اتقوا"، والمُراد بالسوق هنا "سوق مراكبهم؛ لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين وحثها إسراعًا بهم إلى دار الكرامة والرضوان، كما يُفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك"(١٢٤)

أما قوله: "إلى الجنة" المتعلق فنزعته المقامية تحديد الوجهة التي سيتجه لها الذين آمنوا، وهذه الوجهةُ استدعاها الفعل "سيق" وقد استخدم المُخاطِبُ حرفَ الجر إلى نظرًا لمهمتها اللغوية؛ إذ إن حرف الجر "إلى" يكون لمُنتهى الغاية _كما ورد في الجنى الداني في حروف المعاني_ أن هذا الحرف "يرد لمعان ثمانية: الأول: انتهاء الغاية في الزمان والمكان، وهو أصلُ معانيها"(١٢٥)، أما قوله "زمرا"، التي جاءت حالا وسُميت السورة بها، فتعني "الفوج من الناس المتبوع بفوج آخر، فلا يُقال: مرت زمرةٌ من الناس إلا إذا كانت متبوعةً بأخرى، وهذا من الألفاظ التي مدلولها مقيدٌ" "وهي مشتقةٌ من الزمر. أي: الصوت"(١٢٦)

وعن الرابط الحجاجي "حتى" فهو من الروابط الحجاجية التساوقية، التي تربط بين حجتين لهما التوجه الحجاجي نفسه، وكلتاهما تخدم النتيجةَ نفسها؛ لذا فهي من الروابط التي تعمل على ترتيب الحجج داخل النص؛ "لأن دور الرابط حتى هو إقامة علاقة تراتبية بين طرفي القول"(١٢٧) كما أن هذا الرابط غالبا ما يُضيف معلومة غير متوقعة للمخاطب بما يؤدي إلى إثارة ذهنه، وشحذ قريحته، وقد ورد هذا الرابطُ في النص القرآني ضمنَ سلم حجاجي يخدم نتيجة ضمنية قصد إليها النصُ القرآني للتأثير في المخاطبين، وترغيبهم؛ إذ ربطت حتى بشكل بنيوي ونسقي بين المتقين لربهم ومجيئهم للجنة، وأتى هذا المجيء متزامنا مع عنصر السرعة، وقد تطلب هذا واستلزم تواتر الظرف "إذا" مجردًا من معنى الشرط، فجاء بعد الرابط الحجاجي "حتى"؛ وذلك للدلالة على قطعية الحجة وثبوتها (دخولهم الجنة) قصد تعميم المعرفة التي نهضت على الحجاج؛ إذ إن الرابط حتى يُستعمل _في أغلب الحالات_ في الأمور التي يكثر وقوعها سيما أن الجنة وردت معرفة كونها معروفة ومعلومة لديهم، ويمكن تمثيل هاته النتيجة الضمنية الواقعة على السلم الحجاجي عبر الخطاطة الآتية:

أ_ الخلود فيها

ب_ اتمام نعمة الحمد على صدق الوعد

الفعل الإنجاي (فادخلوها) ج_ وراثة الأرض

د_ الحلول بالجنة والسكنى بها

هـ_ نعم الأجر

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

لقد اعتمدت الآيتان على سلسلة من المرجعيات والمرتكزات القولية التي اقتضاها المقامُ للوصول لنتيجة ضمن سلم حجاجي جاءتْ العلاقةُ الحجاجية فيه متفاعلة تفاعلًا واضحًا وجليًا مع الأفعال والأقوال؛ إذ وردتْ الأخيرةُ من حيث الاستعمال اللغوي عبر مجموعة تدليلية أو فئة حجاجية بدأتْ بالفعل الكلامي "سيق" وصولًا إلى النتيجة "دخول الجنة" وهو مسارٌ تلفظيٌّ وحجاجي قام المتكلمُ فيه بترتيب أقواله، وأفعاله وتوجيهها توجيهًا قصديًا ضمن سلم حجاجي سعى فيه إلى الإقناع بالنتيجة التي يريد الوصول أو الانتهاء إليها والتأثير بها.

أما الرابطُ الحجاجيُّ الفاء في قوله تعالى: "فادخلوها خالدين" فإنه ربطت بين السابق، واللاحق أو الحجة والنتيجة، وجمع بين مسألتين أو قضيتين غير متباعدتين انطلاقًا من مهمتها أو وظيفتها اللغوية، التي تنهضُ على الربط بين مكونات الملفوظ في إطار واحد، وقد أوضح مهمتها الدلالية ابنُ جني (ت ٣٩٢هـ) حينما قال: "ومعنى الفاء التفرق مع مواصلة أي الثاني يتبع الأول بلا مهلة تقول: قام زيدٌ فعمرو. أي: يليه لم يتأخر عنه"(١٢٨)

وقد جاء التعبيرُ القرآنيُّ "وقالوا الحمد لله" بصيغة الماضي لا المضارع أو الأمر للدلالة على تحقق وقوع الحدث، وقد أدت الواو الواصلة كرابط حجاجي دورًا مهمًا في عطف الكلام، وهو التعبير الذي يتكرر بصيغته الزمنية في قوله تعالى: "وأورثنا الأرض"، ويجوز أن يكون لفظ الأرض هنا مستعارًا للجنة؛ لأنها قرارهم كما أن الأرض قرار الناس في الحياة الأولى، وإطلاق الإيراث استعارة تشبيهًا للإعطاء بالتوريث في سلامته من تعب الاكتساب، والتبوء : السكنى والحلول"(١٢٩)

وقد خُتمت الآية بفعل كلامي مدحي هو "نعم"، وهو فعلٌ يصف مصيرَ أهل الإيمان يوم القيامة أو الحشر، والمخصوص بالمدح مذكورٌ، و"أرادوا بـ"العاملين" أنفسهم، أي عاملي الخير، وهذا من التصريح بالحقائق، فليس فيه عيب تزكية النفس؛ لأن ذلك العالم عالم الحقائق المجردة عن شوب النقائص"(١٣٠)

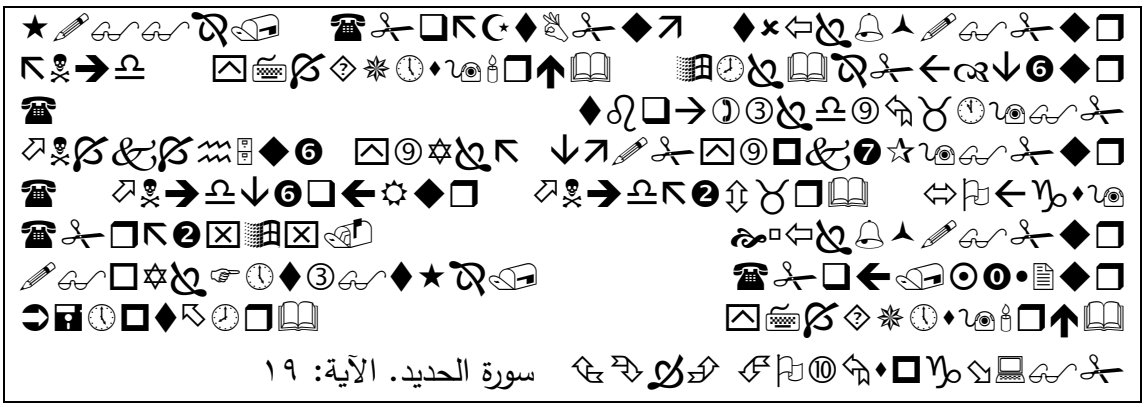

عُني الخطابُ القرآنيُّ بالمُخَاطَب، واهتم بتهيئة عقله وقلبه لتلقي الخطاب اللغوي وتقبله والعمل بمقتضى معناه وفق إطارٍ لغوي خاص؛ لتحقيق هدف تداولي، ومن ضمن هذه الأُطر اللغوية يأتي أسلوبُ الوصل، الذي عن طريقه يترابط اللاحق بالسابق بشكل تراتبي منظم بدأ في الآية عبر جملة الوصل "والذين آمنوا"، التي وردت خطابًا عامًا موجها لأمة الدعوة، أما الأفعالُ الواردة بصيغة الماضي "آمنوا، كفروا، كذبوا" فقد حققت وفقًا لترتيب ورودها في الآية وظيفةً حجاجية تُفيد وصفَ حال المخاطبين، ولما كان المعنى إخباريا، تمخضت الأفعال الثلاثة للدلالة على المضي، ولكنها قد تكتسب من السياق دلالة أخرى غير مباشرة خرجت عن المضي إلى غيره.

وعن اسم الإشارة فقد جاء للتنويه، والتنبيه يليه ضميرُ الفصل (هم)، الذي جاء كعامل حجاجي يُفيد القصر، أي: قصر التصديق عليهم دون غيرهم، و"الصدّيق بتشديد الدال مبالغة في المُصَدِّق ... والأكثر أن يُشتق هذا الوزن من الثلاثي...، وإنما وُصفوا بأنهم صديقون؛ لأنهم صدَّقوا جميع رُسل الحقِّ، ولم تمنعهم عن ذلك عصبية ولا عناد"[١٣١]، أما العندية في قوله: "عند ربهم" فهي "مجازية مستعملة في العناية والحظوة"[١٣٢]، وفي قوله "لهم أجرهم ونورهم" فالمعنى "أن الله يُعطي المؤمنين أجرهم ويُضاعفه لهم بفضله حتى يساوي أجرَهم مع إضعافه أجرَ أولئك"[١٣٣] أي: أجر الصديقين، والشهداء وفي هذا ترغيب في الإيمان أيضًا.

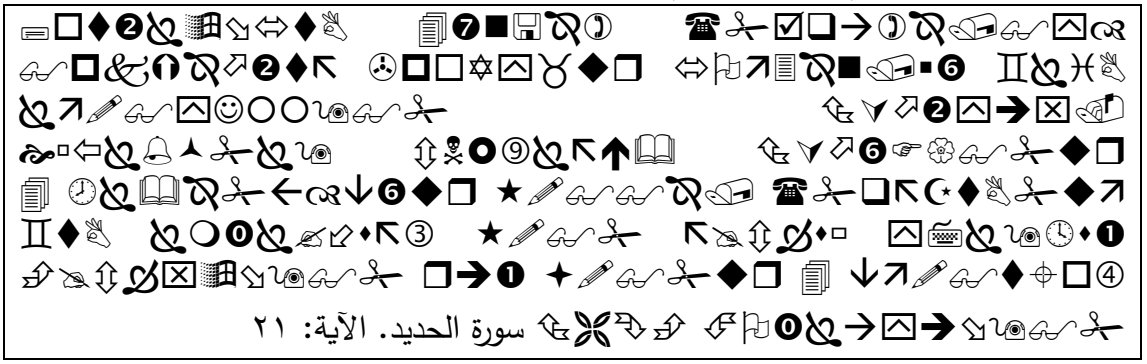
سورة الحديد. الآية: ٢١

بدأتْ الآيةُ الكريمة بالأمر بالسباق إلى المغفرة والجنة بجملة تصدرت القول، وهي جملةٌ أسلوبية إنشائية، ولا يخفى ما للأسلوب الإنشائي من دور مهم في العملية الحجاجية؛ إذ به تُبنى الحجة، من حيث إن الأسلوب الإنشائي لا يُمثل واقعًا ولا يحكي حدثًا ومن ثم فهو لا يحتمل الصدق والكذب إضافة إلى أنه مشحونٌ بطاقة لغوية وحجاجية يقصد من خلالها المخاطِب دلاليا إلى حتمية وقوع المرغوب فيه.

كشف الفعلُ الإنفاذيُّ (سابقوا) الموجه إلى مخاطبين يختلفون باختلاف المكان، والزمان، والأحداث من خلال اتصال الفعل بواو الجماعة المتصلة بفعل الأمر، وتأشير الضمير (الواو) إلى الجمع، وقد "عبَّر المخاطب عن العناية والاهتمام بفعل المسابقة لإلهاب النفوس بصرف العناية بأقصى ما يُمكن من الفضائل كفعل مَنْ يُسابق غيرَه إلى غاية فهو يحرصُ على أن يكون المجلِّي،

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

ولأن المسابقة كناية عن المنافسة، أي واتركوا المقتصرين على متاع الحياة الدنيا في الأخريات والخوالف"[١٣٤]

وجملة "كعرض السماء والأرض" ملفوظ تقريري لعرض الجنة التي أُعدت للذين آمنوا بالله، "والعَرْض: مستعملٌ في السعة وليس مقابل الطول لظهور أنه لا طائلَ في معنى ما يُقابل الطول"[١٣٥]، وقد استثمرَ النصُ القرآنيُّ البعدَ التشبيهي (الأصل الأول من أصول نظرية البيان) بوصفه مقدمة لتدعيم نتيجة صريحة، وهي مقدمة مناسبة للمقام بغية استمالة المخاطَبين؛ إذ أدى التعبيرُ التشبيهي وفق مبدأ التطابق بين المشبه (الجنة)، والمشبه به (عرض السماء والأرض) بتفريعاتها العقلية وتوليداتها، وربط المقدمات المنطقية بين ركني التشبيه بالنتيجة على نحو واضح، وجلي، وهو تشبيهُ يجري على طريق المبالغة؛ إذ يؤشر للقدرة الإلهية التي تُجاوز قدرة البشر، وتكمن قيمته التداولية في ارتباطه بالهدف أو المغزى من إيراد المعنى الذي توخاه المُرسِل ورغبته في تأكيد هذا المعنى عن طريق التصوير، وما يؤديه هذا التصوير من تأثير، وإقناع حسيين.

وفي قصر الاسم الموصول "الذين" في قوله "للذين آمنوا" ما يشي بأن الجنة قاصرةٌ على المؤمنين دون غيرهم، ولا يخفى ما لأسلوب القصر من دور بوصفه عاملًا حجاجيًا عن طريق حصر الإمكانات الحجاجية، وتقييدها على فئة محددة من المخاطبين، وليس على عموم الناس، وهو الأمرُ الذي يتم تفسيره أيضا في قوله تعالى: "يُؤتيه من يشاء"؛ إذ يقرر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) أن المقصود بها "هم المؤمنون"[١٣٦]

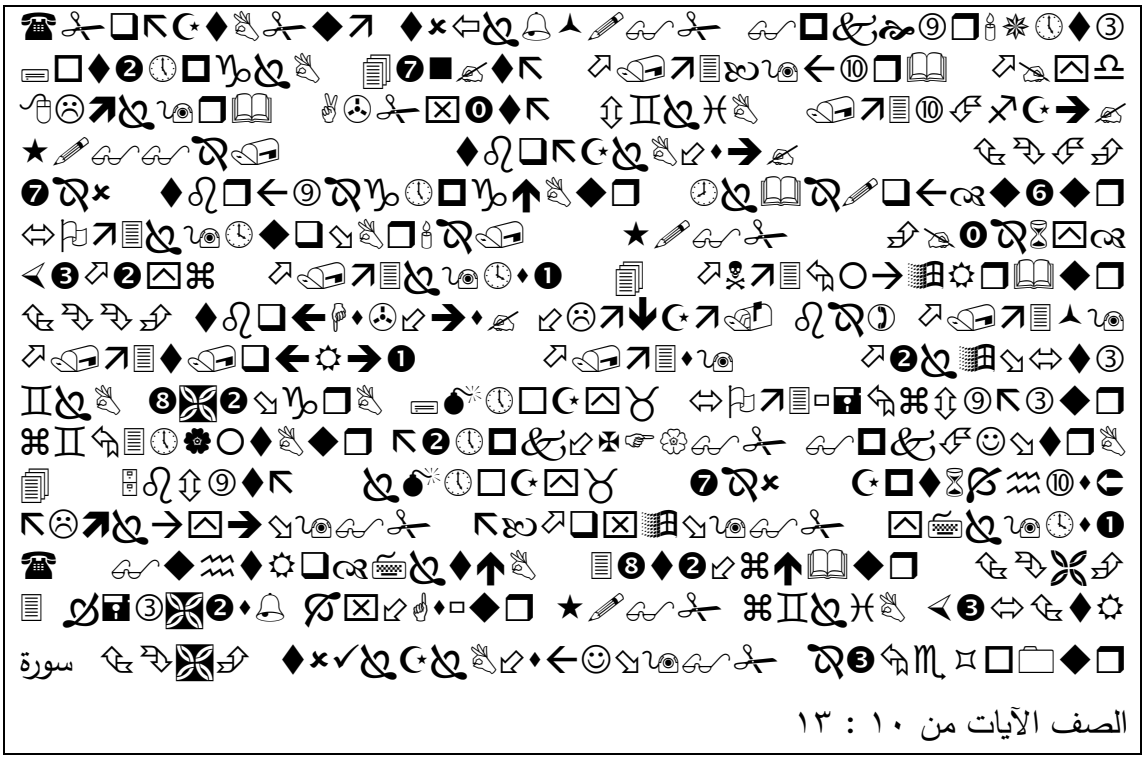

الصف الآيات من ١٠ : ١٣

بدأتْ الآياتُ الكريمات بفعل طلبي (النداء)، جاء للتنبيه لما سيأتي بعده، ثم أعقبه استفهامٌ تقريريٌّ غير مباشر جيء به للتشويق، ولا يخفى ما للاستفهام من قيمة تتأتى أولًا من مكانة السائل، أما استعمال الـ"فعل "أدلكم" فلإفادة أن ما يُذكر بعده من الأشياء التي لا يهتدى إليها بسهولة"[١٣٧]

وعن جملة "تؤمنون بالله ورسوله" فهي جملةٌ مستأنفةٌ وقعتْ جوابًا عن استفهام سابق، "كأنهم قالوا: كيف نفعل؟ فقال: تؤمنون"[١٣٨]، وجاءت بصيغة المضارع للدلالة على التجدد، والاستمرار، وهي صيغة تأخذ معنى الأمر بمعنى آمنوا بالله ورسوله، وجاهدوا في سبيله، وقد تم تعديل التعبير عن الأسلوب الطلبي بالأسلوب الخبري لاعتبار يتعلق بذات المتكلم الراغب في إظهار الحرص على وقوع الفعل وتحققه، وجعل ما يرغب في تحققه كأنه واقعٌ متحقق، وذلك "للإيذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يُخبر عن إيمان وجهاد موجودين"[١٣٩]، ولما كانتْ الأفعالُ التي قدمت حجاجًا قد تضمنت فعلًا كلاميًا غير مباشر هو الأمر فإن نتيجتَها قد جاءتْ بصيغة الأمر (وبشر) بما يشي بترابط الآيات، وتشاكلها؛ إذ تضمن الفعلُ غير المباشر (الأمر) وعدًا هو البشارة.

أما الفعل "يغفر" فقد جاء بصيغة المضارع كي يلائم المقام؛ حيث إنه مقام سرعة لإدخال الفرح والسرور على المخاطبين، ولجعل الحجج أو الأدلة السابقة ماثلة في نفوس المتلقين، حاضرة أمام أعينهم بشكل متجدد، ومستمر.

وقد تم تخصيص التعبير في قوله: "ومساكن طيبة في جنات عدن"؛ "لأنه _كما يقول ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)_: "إنما خُصت المساكن بالذكر هنا؛ لأن في الجهاد مفارقة مساكنهم، فوعدوا على تلك المفارقة المؤقتة مفارقة أبدية"[١٤٠]

وجاء قوله تعالى "نصرٌ من الله وفتحٌ قريب" متضمنًا فعلًا التزاميًا أو وعديًا؛ إذ تضمن التعبيرُ القرآنيُّ وعدًا من الله بالنصر، والفتح، و"هذا كما يقول الماوردي (ت ٤٥٠هـ) لزيادة الترغيب؛ لأنه لما وعدهم بالجنة على طاعته وطاعة رسوله علمَ أن منهم من يريد عاجل النصر لقاءَ رغبة في الدنيا، ولقاء تأييد الدين، فوعدهم بما يقوي به الرغبة"[١٤١]، وقد أردف الله (سبحانه وتعالى) البشرى بالنصر والفتح زيادة في مسرة المخاطبين من أحبابه، الراغبين في الإيمان به، وإذا كان الله ربُنا هو المخاطِب إلا أنه قد وضع ذاتا ثانية تكفلت بالإنجاز الفعلي للخطاب، وهو الرسول (ﷺ) _بوصفه مبلغا للخطاب_، ولا يوجد اختلافٌ بين الذات الأولى (ذ١)، والذات الثانية (ذ٢) ودلالة التعبير: يا محمد بشرهم بالنصر الدنيوي، والجنة في الآخرة _، ولا يخفى فاعلية الذات الثانية بوصفها حجة على المخاطَبين؛ إذ عد القدماء الرُسل حجة على من أُرسلوا لهم، وفي هذا يقول ابن وهب الكاتب (ت بعد ٣٣٥هـ): "إن لله سبحانه وتعالى حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل، وأما الباطنة فالعقل"[١٤٢]

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

وعلى صعيد متصل نجد المخاطب قد استعمل في الآيات ضمير الخطاب (كاف المخاطبين)، التي وردت بكثرة لافتة، وهو من العناصر الإشارية الشخصية Personal Deictice، التي يُشار بها إلى المُخَاطبين المقصودين من العملية التواصلية وأحد أطرافها بوصفهم مُرسلًا إليهم؛ وذلك لتفعيل العملية اللغوية والتواصلية من جهة، وتحقيق الإقناع والتأثير من جهة ثانية.

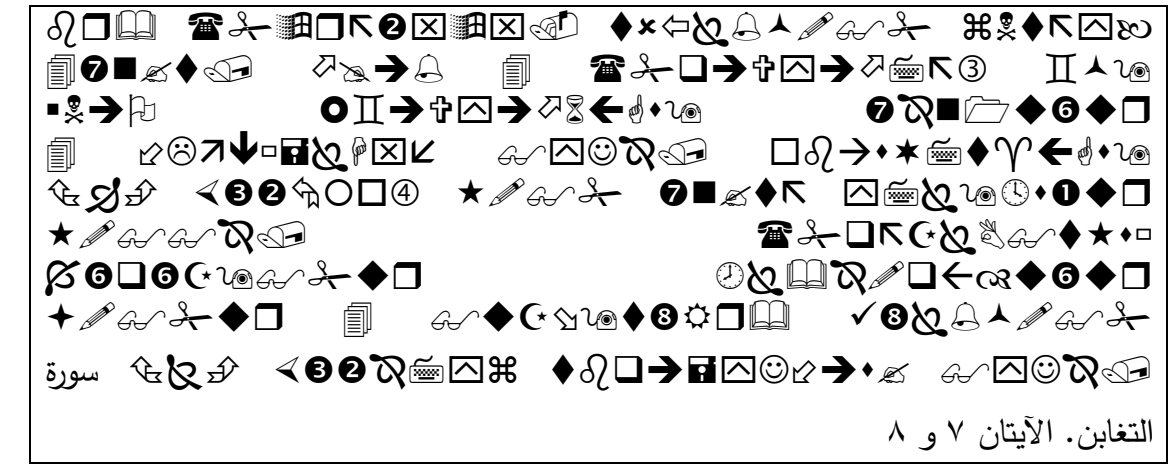
سورة التغابن. الآيتان ٧ و ٨

بدأت الآيتان بفعل إنجازي إخباري هو زعم، والزعم هو "القول الموسوم بمخالفة الواقع خَطَأً فمنه الكذب الذي لم يتعمد قائله أن يخالفَ الواقع في ظن سامعه. ويُطلق على الخبر المستغرب المشكوك في وقوع ما أُخبر به، وعن شريح: لكل شيء كنية، وكُنية الكذب زعموا"(١٤٣)

وعن أداة النفي "لن" فهي من أدوات النفي في العربية بصفة عامة، وهي الأدواتُ التي يصدق عليها ما قاله أنسكومبر: "يوجد في اللغة صرافم، عوامل حجاجية، تشدّ الملفوظ، وتُبدّل/تُوجّه أقسام النتائج المرتبطة بالجملة في الملفوظ في بدايته"(١٤٤)، وهي مسبوقةٌ في الآية بحرف التوكيد "أن" الذي يُعَدُّ رابطًا حجاجيًا تتمثل وظيفته في الشرط المتضمن لحجاج مضمر "فنحن عندما نعقد _كما يقول ديكرو_ علاقة شرطية بين طرفين فإننا أضمرنا أن الشرط يستوجب الجواب، أي يكون الشرطُ سببًا لنتيجة هي الجواب، ومعنى هذا لا بُدَّ أن يكون الشرطُ في خدمة الجزاء متساوقًا معه"(١٤٥)

ووصلا بما سبق فإن النفي يُعَدُّ قانونا من قوانين السلالم الحجاجية، التي يستخدمها المتكلم لخدمة نتيجة محددة وقد جاء في النص القرآني خدمة للمعنى وتأكيدا حجاجيا له.

أما الفعل "قُلْ" فقد نص القرآنُ الكريمُ لغةً على حجاجيته في أكثر من آية كما في قوله تعالى: "فإن حاجوك فقل"(١٤٦)؛ إذ يربط هذا الفعلُ النصَ بمخاطبه الحصري؛ _حيث إنه خطابٌ موجهٌ للنبي(ﷺ)_ ويدعو المخاطَب إلى الإقرار والإذعان بما سيجيء بعده، وقد تكرر ورودُ هذا الفعل في القرآن الكريم، وبشكل خاص في نصوص آيات الترغيب في الإيمان بالله كما في قوله تعالى:

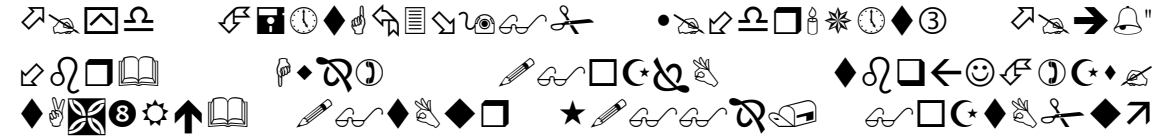

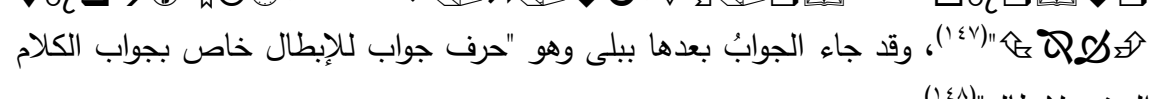
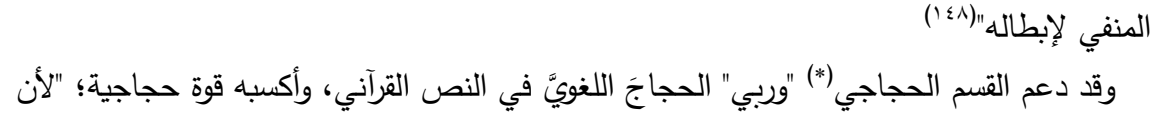
"[١٤٧]، وقد جاء الجوابُ بعدها ببلى وهو "حرف جواب للإبطال خاص بجواب الكلام المنفي لإبطاله"[١٤٨]

وقد دعم القسم الحجاجي[*] "وربي" الحجاجَ اللغويَّ في النص القرآني، وأكسبه قوة حجاجية؛ "لأن القسم يؤكد مضمون الجملة المُقسم عليها"[١٤٩] بالإضافة إلى أن القسم بالله على نحو خاص هو أؤكد أنواع القسم، وأكثرها تأثيرًا وإقناعا.

وعلى نحو متصل فقد ورد في الآية الرابطُ الحجاجيُّ "ثم"، الذي يدلُ على التراخي، فالإنباء هو الإخبار. أي: لتُخبرن بأعمالكم، ومن ناحية أخرى الإخبار هو مقصد البعث، ونمط التراخي في الآية يدل على تباين المنزلتين أو بُعدهما عن بعضهما من حيث الدلالة، وهو ما يتفق مع المقام البلاغي أو الوضعية البلاغية؛ إذ إنه "وعيدٌ وتهديدٌ بجزاء سَيء؛ لأن المقام دليل على أن عملهم سيء، وهو تكذيب الرسول (ﷺ) وإنكار ما دعاهم إليه"[١٥٠]

أما الفاء في قوله تعالى "فآمنوا بالله" فهي تؤدي معنى الشرط، وتشي بمعنى إذا. أي : إذا آمنتم بالله ورسوله والقرآن فإن الله بإيمانكم خبير _والله أعلى وأعلم_، ولا يخفى ما للشرط من قوة حجاجية وإقناعية.

يأتي أسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وهو الأمر الذي يجعل المخَاطَب متفاعلًا مع المعنى، فعن طريق أسلوب الالتفات يُؤثر المُخاطِب في المُخاطَب، ويجذبه كي ينتبه لما سيأتي وبخاصة أن الالتفات في النص القرآني قد جاء من الغيبة للخطاب.

وأخيرا فقد اشتملت الآيتان في نهاية كل واحدة منهما على تذييل (وذلك على الله يسير)، و(والله بما تعملون خبير) يؤكدان المعنى ويصلان الذيل بالحمل.

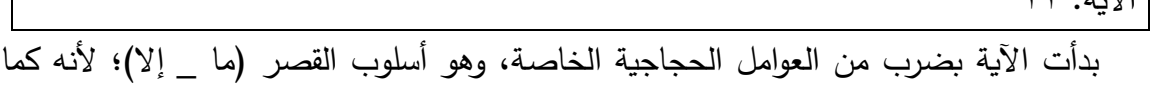
سورة التغابن. الآية: ١١

بدأت الآية بضرب من العوامل الحجاجية الخاصة، وهو أسلوب القصر (ما _ إلا)؛ لأنه كما يقول _عبدالعزيز الناجح_ يتركب من صرفمين الأول يُفيد النفي، والثاني يُفيد الاستثناء، ولقد أجمع النحاة وأهل المعاني أن هذا الضرب من الصرافيم يفيد معنى "إنما""[١٥١]، وهذا الأسلوب يعد من الوسائل اللغوية، التي يستعملها المخاطِب أو المُرسِل لتوجيه خطابَه نحو الإثبات والتأكيد، وهو في الآية يؤكد قضيةً أو معنى أساسيًا هو قصرُ الإصابة بالمصيبة على مشيئة الله، وإذنه وهذا الأسلوبُ هو "بمنزلة مؤكدين إذ ليس القصر إلا تأكيد على تأكيد"[١٥٢]

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

أما "مَنْ" فهي اسم شرط، وتُعَدُّ من صيغ العموم لا الخصوص. أي: أن كل من يؤمن بالله يهد اللهُ قلبَه، بما يدل على أن "مَنْ" يُراد بها في الآية عموم الجنس لا خصوص الفرد، ولا طائفة محددة، وهذا أمرٌ يقتضي حب عموم الناس للهداية، والدلالة على أن الإيمان يهد قلب صاحبه، "وقُرِىء: نهد قلبه، بالنون. ويهد قلبه، بمعنى : يهتد ويهدأ قلبه: يطمئن. ويهد. ويهدا على التخفيف"(١٥٣)

والله بكل شيء عليم: تذييل، وهو تذييلٌ يُراعي مقام القول، الذي ينهض على معرفة المخاطِب بقلوب العباد، وأنه القادر على تثبيت الهداية وتأكيدها في قلوبهم، وقد "اخْتُصت المصيبةُ في استعمال اللغة بما يلحق الإنسان من شر وضر وإن كان أصلُ فعلها يُقال كل ما يُصيب الإنسان مطلقا ولكن غلب إطلاق فعل أصاب على لحاق السوء ... وتأنيث المصيبة لتأويلها بالحادثة"(١٥٤)، وتأسيسا على هذا التأويل يبرز الموضع التداولي ويُحدد مسلكا جديدا لتأويل الفعل أو المقدمة أو التوجيه الحجاجي للوصول إلى نتيجة محددة وتقويتها كما في الرسم التخطيطي الآتي:

إذن : مَنْ يؤمن بالله يهد قلبه.

إنما أصاب من مصيبة بإذن الله

إذن : الله بكل شيءٍ عليم.

ووصلًا بما سبق فإن اعتماد الموضع هو من قام بتحديد الاستلزام الحواري، وضبط معناه، ومن ثَمَّ أصبح أكثر نجاعةً في تحديد دلالة الملفوظ، وعليه خرج الأخيرُ من حيز الإبلاغ والتوصيل إلى حيز الحجاج والتأثير.

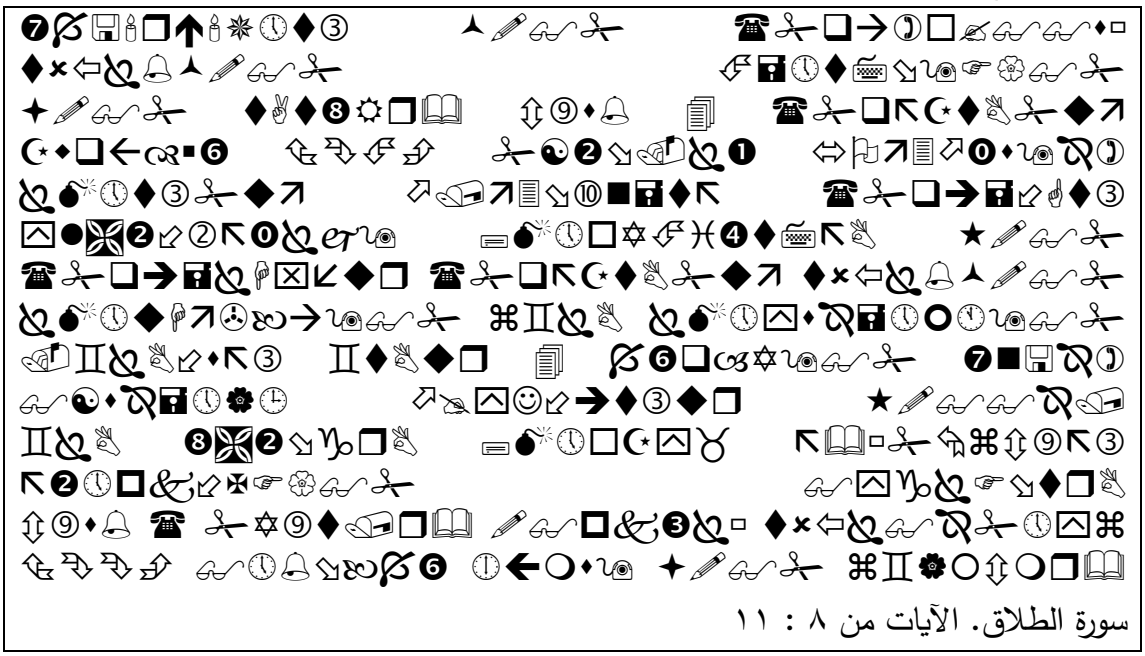

سورة الطلاق. الآيات من ٨ : ١١

الفاء في "فاتقوا الله" تفريعيةٌ وردتْ على ما تقدمها، أي: إذا علمتم أمرَ هذه القرية التي عتت عن أمر ربها فاتقوا اللهَ فيما يجب أن تكونوا عليه من التقوى في الإيمان بالله؛ لذا فإن الأمرَ بالتقوى في الآية يتضمن فعلًا كلاميًا غير مباشر هو التحذير السابق، والترغيب في الإيمان اللاحق، وهذا الفعلُ يتم إدراكه عن طريق الاستلزام وقرينة الحال، وقد أُستغنى عن متعلق فعل الأمر "اتقوا" للتعميم؛ حيث إن دلالة التقوى أعم من دلالة ما قبلها وزيد بأن ذيلها بالنداء تأكيدًا للأمر بالتقوى وحجاجًا إقناعيًا بها، أما الفاءُ الداخلة على فعل الأمر فهي لقصد السرعة في إجابة الطلب.

وقد أتبع اللهُ (سبحانه وتعالى) النداءَ، الذي هو من الأفعال التي تندرج تحت الطلبيات Directives وفق ما هي من أهم القوى الإنجازية الصريحة والمباشرة بالاسم الموصول"الذين آمنوا"، "الذي هو بدل من أولي الألباب، وهذا الاتباع يؤمي إلى أن قبولهم الإيمان عنوانٌ على رجاحة عقولهم، والاتيان بصلة الموصول إشعارٌ بأن الإيمان سببٌ للتقوى وجامع لمعظمها ولكن للتقوى درجات هي التي أُمروا بأن يُحيطوا بها"[١٥٥]

وفي قوله تعالى: "ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا" عطفٌ من خلال واو العطف، وهي تؤدي في الآية دورَ الرابط الحجاجي الذي يسبق أداة الشرط "مَنْ" ومن ثم فهو عطفٌ "بصيغة الشرط للدلالة على أن ذلك نعيم مقيّد حصوله لراغبيه بأن يؤمنوا ويعملوا الصالحات"[١٥٦]

وقد ورد في النص نموذجان للرابط الحجاجي المركب وهما قوله تعالى: "قد أنزل الله إليكم ذكرا"، و"قد أحسن الله له رزقا"؛ إذ جاء الحرفُ "قد" متصلًا بالفعل الماضي ليكون مؤشرًا حجاجيا على اتصال الحجة بالنتيجة وأداةَ ربطٍ حجاجية في التعبيرين، والإنزال في التعبير الأول يعني التبليغ "وإنزال القرآن تبليغه إلى الرسول (ﷺ) بواسطة الملك، واستعير له الإنزال لأن الذكر مشبه بالشيء المرفوع في السماوات ... وجعل إنزال الذكر إلى المؤمنين لأنهم الذين انتفعوا به وعلموا بما فيه فخصوا هنا من بين جميع الأمم؛ لأن القرآن أُنزل إلى الناس كلهم"[١٥٧]، أما الرزقُ فهو "كل ما ينتفع به وتنكيره هنا للتعظيم، أي رزقا عظيما"[١٥٨] أما إفراده فهو للتخصيص يعني أن لكل فرد منكم رزقا _والله أعلم_.

وفي الفعلين المضارع "يُدخله"، والماضي "أحسن" دلالة على غير زمن الفعل؛ إذ إنهما نابا مناب المستقبل للدلالة على تحقق إثبات الفعل، ووقوعه فدلالة الفعل المضارع "سيدخله"، ودلالة الفعل الماضي "سيُحسن"؛ لذا فإن دلالة هاتين الصيغتين تشي بمعنى الحدث، ولكنهما تحولتا لمعنى "سيفعل" للدلالة على الاستقبال؛ حيث إنه إخبارٌ عن أمر مستقبلي لم يحدث بعد، ولكن لما كان مقطوعا بوقوعهما جيء بهما لفظيًا بصيغة المضارع، والماضي لا المستقبل.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

وأخيرًا فقد ورد ذكرُ الفاعل (لفظ الجلالة) في التعبيرين "قد أنزل الله"، و"أعد الله لهم" للإشارة إلى منتج الخطاب والفاعلُ فيه، وجاء تكرارُ الفاعل بلفظه في نهاية الآية لإعلام المخاطَب بمكانة المتكلم، وأنه القادرُ على الفعل، وبهذا يُدرك المخاطَب سلطة المتكلم المذكور، وتمكنه من الفعل والخطاب وتحكمه في مجموع القرآئن اللسانية، وغير اللسانية.

سورة الجن. الآية: ١٣

جاءتْ سورةُ الجنِ لتُسقط الوعيَّ القرشيَّ (نسبةً إلى قريش) وتصوره للجن، وتُعلن أن الجنَ قد استمعَ للقرآن، الذي تلاه محمد (ﷺ) عليكم، وأنهم آمنوا به، وهو الأمرُ الذي وقفت قريشٌ إزائه مذهولةً أمامَ هذه الحقيقة وبخاصة بعد أن أذاعت أن الرسولَ (ﷺ) يأخذ القرآنَ من الجن وفقًا للتصور النظري للشعر والشعراء الذي كان مستقرًا في العقلية العربية وقتئذ فجاءت هذه السورةُ كي تُسقط هذا التصور.

جاء التعبير القرآني "وأنا لما سمعنا الهدى" توطئة لما سيجيء بعده، والمُراد بقوله: "الهدى" القرآن الكريم، وقد تقدم تعريفُها في أول سورة البقرة، في قوله: "هدى للمتقين".

وتعد جملة "فمن يؤمن بربه" تذييلا، وقد جاءت هذه الآلية الحجاجية لإقرار المعنى وتأكيده والإقناع به لما تضمنته من معنى الشرط، وربط الذيل بالحمل.

وفي قوله: "فلا يخاف بخسا ولا رهقا" جاءت النتيجةُ للفعل الإنجازي الشرطي السابق، وهي نتيجة تكاملية "فالبخس الغبن في الأجر ونحوه، والرهق: الإهانة، أي: لا يخشى أن يُبخس في الجزاء على إيمانه ولا أن يُهان، وفهم منه أنَّ من لا يُؤمن يُهان بالعذاب"[١٥٩]، وقد اقترن جواب الشرط بالفاء كي يأخذ معنى "أل" "فهو لا يخاف" "وفيه _كما يقول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)_ دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم"[١٦٠]

خاتمة البحث وأهم النتائج :

تناول هذا البحثُ "تحليل آيات الترغيب في الإيمان بالله في ضَوء التداولية المدمجة"، وقد جاز إنجازُه في صورته هذه محققًا توجهًا نحو دراسة نصوص هذه الآيات، وتحليلها من خلال مستويين مدمجين، ولكن كان لزامًا علينا أن نسبقَ هذا التحليل الإجرائي بعرضٍ لمصطلح التداولية، وتحديد مفهومه، وتشعباته المختلفة التي انطلق منها، والتي جاءت بالتوازي مع تجاوزه للطرح البنيوي السوسيري، والنحوي التوليدي التشومسكي، انطلاقًا من العناية والاهتمام بالبحث التداولي ثم تفريع

اتجاهات التداولية، والتي نتج عنها اتجاهُ التداولية المدمجة، الذي قامت على ماهيته، وآلياته، وتقنياته خطوطُ هذا البحث، ومباحثه.

وفي سياق متصل ينتمي هذا البحث إلى ضرب من البحوث التي تسعى نحو قراءة الخطاب القرآني قراءة معاصرة من خلال استثمار أحد التوجهات المستحدثة في الدرس التداولي، ولمَّا كانتْ التداوليةُ نظريةً شديدة الثراء والتنوع، فقد تعددت التيارات والاتجاهات التي تنتظمها؛ لذا حاول الباحثُ الإفادةَ من أحد التوجهات المنبثقة عنها، وقد تسلح الباحث في محاولته هذه بالصبر، وكدّ الرّويَّة في سبيل الملائمة بين الخطاب القرآني وأحد مقتضيات الرهانات العلمية المعاصرة مما يمكن تسميته بالتحليل الخطابي، والسياقي الخاص بداية من التوقف طويلًا عند النص التطبيقي (نصوص آيات الترغيب في الإيمان بالله)، لاختبار موائمته للاتجاه النظري، وقابليته له إطارًا نظريًا، وإجراءً تطبيقيًا بغيةَ التعرف على النشاط اللغوي من خلال فهم نصوص الآيات، ومقاربتها وفقًا لمنهج الجيل الثاني أو المرحلة الثانية من مراحل التداولية، وبخاصة بعد أن كثرت الدراسات والبحوث، التي أفرزتها المرحلة الأولى كثرة ملحوظة.

هذا، وقد وضح للباحث من خلال دراسته لموضوع البحث **(تحليل آيات الترغيب في الإيمان بالله في ضَوء التداولية المدمجة)** جملةً من النتائج العلمية لعل أبرزها ما يأتي:

أولًا_ تهتم التداوليةُ المدمجة بالجانبين اللغوي والبلاغي، فتُراعي في الجانب الأول الوحدات التركيبية وأدواتها، ودور هذه الوحدات في إنتاج الدلالة وتأثيرها من حيث إن مهمة اللغة وفقا لهذا الاتجاه ليست الإخبار، وإنما الحجاج والإقناع بينما تُعنى في الجانب الثاني بعلاقة المعنى والدلالة بالمقام الخارج نصي.

ثانيًا_ يُعَدُّ المقامُ البلاغي وفقًا لاتجاه التداولية المدمجة شرطًا تداوليا بامتياز، وهو شرطٌ لإنتاج اللغة انطلاقا من مبدأ التأثير المباشر له في عملية التلفظ من جهة، وكضابط للعملية التواصلية بين أطراف الخطاب من جهة ثانية، وقد أتاحت قاعدةُ المقام للتداولية أن تشتركَ مع البلاغة في عددٍ من التصورات، والرؤى ومن قبل تشترك معها في المنطلقات ومجالات العمل.

ثالثًا_ لا يهمل اتجاه التداولية المدمجة تحليلَ البنى الداخلية للنص، ولكنه يضيف إليها فحص السياقات الخارجية المؤثرة في تشكيل هذه البنى من جهة، والمنتجة لدلالاتها من جهة ثانية، وهو بهذا يُعَدُّ نموذجًا للمزج بينهما بُغيةَ إضاءة النص من جوانبه المختلفة، وأبعاده المتعددة.

رابعًا_ حرص الخطابُ القرآني _رغم خصوصيته النابعة من خصوصية المتكلم ومقصدية الخطاب_ على اعتماد محوري الصريح/الضمني في اللغة، كما حرص على مشاركة المخَاطَبين في إنتاج الحجج والنتائج، وتبنيها بوصفهم طرفًا فاعلًا في الخطاب.

خامسًا_ تنوع المخاطبون في نصوص آيات الترغيب في الإيمان بالله ما بين العام، والخاص بما يؤشر لديمومة الخطاب في هذه النصوص، وتواصليته، وتأثيره.

سادسًا_ تدرجَ الخطابُ القرآنيُّ في عرضه لحجج نصوص الترغيب في الإيمان بالله إلى مستوى الصياغة المُثلى في عرض هذه الحجج، واستعمال هذا التدرج لاستمالة المُخَاطبين والتأثير فيهم.

سابعًا_ غلب على نصوص آيات الترغيب في الإيمان بالله نمط الحجج المتساندة، وهي مجموعة الحجج التي تتوجه مجتمعة نحو النتيجة نفسها؛ حيث يوجه المخاطِبُ أقواله ومقاصده كلها لخدمة غرض واحدة أو فكرة واحدة.

ثامنًا_ أسست الروابطُ اللغوية في نصوص آيات الترغيب في الإيمان بالله لوحدة هذه النصوص، وانسجامها انطلاقا من أنها تربط البنية الداخلية لنصوص الآيات، وما تؤديه هذه الروابط من وظائف نحوية وتركيبية قصد من خلالها المخاطِبُ إلى إقناع المخاطَب بأسباب الإيمان.

تاسعًا_ يُعَدُّ الرابطُ الحجاجي "الواو" أكثر الروابط ورودًا _بِناءً على نسبة وروده_ في نصوص آيات الترغيب في الإيمان بالله، وقد وصلَ هذا الرابط بين الحجج أو الأدلة ومعانيها من جهة، وأسهم في تقوية هذه الحجج وتأكيدها وتماسكها والتأثير بها من جهة ثانية.

عاشرًا_ شكلت الروابط، التي تُدرج حججا قوية (وبخاصة حتى، ولكن) _بِناءً على نسبة ورودهما_ دورًا مهمًا في تفعيل العملية الحجاجية في نصوص آيات الترغيب في الإيمان بالله، وقد خدمت هذه الروابط الغرض السياقي لنصوص هذه الآيات.

حادي عشر_ أضفى فعلُ الأمر بوصفه فعلًا إنجازيًا هدفًا تأثيريًا قصد من خلاله المُرسِل إلى التأثير في المخاطَبين، وقد تم استعماله في صيغته الإنشائية للدلالة على وجوب أو حتمية وقوع المرغوب فيه، وقصدا في المبالغة والإنجاز انطلاقًا من مهمته لتوجيه القول توجيها حجاجيًا.

ثاني عشر_ تضمن فعلُ الأمر في نصوص آيات الترغيب في الإيمان بالله فعلًا كلاميًا غيرَ مباشرٍ هو الوعد، وهذا الفعلُ قد تَمَّ إدراكه في نصوص الآيات عن طريق الاستلزام، وقرينة الحال.

ثالث عشر_ حقق الاستفهامُ في نصوص آيات الترغيب في الإيمان بالله بُعدًا حجاجيًا تضمن بنيةً تصديقية أدت دورًا تنبيهيًا ينطلق من البنية اللغوية بوصفه فعلًا توجيهيًا، وقد أدى هذا الفعلُ وظيفةً تأثيرية؛ نظرًا لارتباطه بالقصدية، التي تستدعي رد الفعل من المخاطَب.

رابع عشر_ أسهم التكرارُ _بوصفه آليةً من الآليات الحجاجية اللسانية_ في نصوص الترغيب في الإيمان بالله في ترسيخ المضمون في نصوص الآيات، وتحقيق المقصد الكلامي فيها.

خامس عشر_ بُنيت آيات الترغيب في الإيمان بالله على لغة تداولية خاصة، وأسلوب لغوي فريد ووفق نمط تضامني انبنى في أغلبه على الآلية اللغوية التوجيهية بغية حمل المخاطبين على

الإقناع، وقد تُوج هذا التوجيه بتضافر عدد من الأساليب وتدبيجها معا كأسلوبي الأمر، والنهي لإنتاج ثراء دلالي، وتداولي.

سادس عشر_ وضح للباحث من خلال دراسته لموضوع بحثه أن المفسرين لم يغفلوا آلية التحليل التداولي المدمج في تفسيرهم للقرآن الكريم، بل كان هذا الاتجاهُ حاضرًا في كتبهم، كما كانوا على وعي بالعملية التخاطبية وأطرافها.

سابع عشر_ الباحث في نصوص آيات الترغيب في الإيمان بالله والمحلل لها يلحظ أن هذه الآيات تُشكِّل كُلها نصًا واحدًا مترابطًا، بحيث إنه يمكن عدِّها فعلًا كلاميًا واحدًا أسماه فان دايك "الفعل الكبير أو الكلي"، وهذا الفعل له وجهان وجه صريح، ووجه ضمني.

وبعدُ فيتبين للباحث مما سبق تناوله أن اتجاه التداولية المدمجة، الذي يندرج ضمن منظومة النظرية التداولية، وينبثق عنها ويغايرها في الوقت نفسه، لا يزال في الدرس اللغوي والبلاغي المعاصرين بحاجة إلى بحوث ودراسات عديدة تحاول كشف اللثام عن مدى نجاعته، وفاعليته وبخاصة عبر مستوى الإجراء التطبيقي، وذلك دونما المساس بهوية الخطاب أو النص وبلا إفراط أو تفريط في المعالجة التطبيقية.

ولا يفوت الباحث أن يُوصي بمحاولة تطبيق اتجاه التداولية المدمجة على عدد من الموضوعات والأساليب الأخرى في القرآن الكريم مثل "أسلوب الترهيب في القرآن الكريم"، و"آيات الرزق في القرآن الكريم"، و"آيات الطاعة في القرآن الكريم"... وغيرها، أما في مجال الشعر فمن الممكن دراسة شعر الإمام الشافعي (أبوعبدالله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي ت ٢٠٤هـ) في ضَوء التداولية المدمجة أو الاقتصار على بحث الروابط والعوامل الحجاجية عنده.

وأخــيرًا، فإن هذا البحث جهد بشري، وجهد أي عمل بشري مجبول على النقص، فإن بدرت مني زلة أو عثرة فإني أطمع من الله (سبحانه وتعالى) أن يغفرها لي، وأُعلن تراجعي، وتوبتي عنها وعن كل ما يقدح في كتاب الله الشريف، وحسبي إخلاص النية وسلامة القصد، وأرجو أن ينال هذا البحث الرضا والقبول، وأن يكون جَهدي فيه مقبولا ومنظورا، وتقصيري مجبورا ومغفورا، ولا يسعني في النهاية إلا أن أعترف بنواحي القصور التي قد تنتابه فهذا هو مطمحه، وإن لم يبلغه فهو قد تطلع إلى تحقيقه والحمد لله تعالى على علمه، وفضله.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٢

الهوامش والإحالات المرجعية :

* ما يقصده الباحثُ بالـ"**تحليل**" Analyse العملية، التي تنهض على تقسيم هذا الكل إلى مركباته الجزئية، ثم **محاولة** تفسيرها وفقًا للإطار النظري، والمنهجي المعتمد دون إفراط أو تفريط.

[١] نقلًا عن: محمود أحمد نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية ٢٠٠٢م. ص: ٤١

[٢] مسعود صحراوي. التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي). دار الطليعة. بيروت ٢٠٠٥م. ص: ٤٠

[٣] ابن منظور الإفريقي (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري) لسان العرب. المجلد الحادي عشر (حرف اللام) دار صادر. بيروت. د.ت. مادة (دول). ص: ٢٥٢

[٤] طه عبدالرحمن. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. المركز الثقافي العربي. ط٤. المغرب ٢٠١٠م. ص: ٢٧

[٥] المرجع السابق. ص: ٢٨

[٦] المرجع السابق. نفسه.

[٧] فيليب بلانشيه. التداولية من أوستن إلى جوفمان. تر: صابر الحباشة. دار الحوار. سوريا ٢٠٠٧م. ص: ١٨

[٨] مسعود صحراوي. التداولية عند العلماء العرب. ص: ١٦، وما بعدها

[٩] محمود أحمد نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. ص: ١٤

* المقصود بالسياق هنا المفهوم الواسع، الذي يعني كل ما له **تأثير خارجي** في الحدث اللغوي وكافة ما يربط الاستعمال اللغوي بالبنية اللغوية انطلاقًا من أن الحدثَ يتسم بالعمومية، وكُلُّ مخاطَبٍ معنيٌّ به، وبما يتبعه من نتائج، وآثار تداولية.

[١٠] جواد ختام. التداولية (أصولها واتجاهاتها) دار كنوز المعرفة ٢٠١٦م. ص:

[١١] فرانسواز أرمينكو. المقاربة التداولية. تر: سعيد علوش. مركز الإنماء القومي.د.ت. مقدمة المؤلف. ص: ٨

[١٢] مسعود صحراوي. التداولية عند العلماء العرب. ص: ١٦

[١٣] جورج يول. التداولية. تر: قصي العتابي. دار الأمان. الرباط ٢٠١٠م. ص: ٢١

[١٤] عبدالقادر عبدالجليل. الأسلوبية (ثلاثية الدوائر البلاغية) دار الصفاء للنشر والتوزيع. عمان ٢٠٠٢م. ص: ٨٠، وما بعدها

[١٥] صلاح فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. سلسلة عالم المعرفة. العدد (١٦٤) الكويت ١٩٩٢م. ص: ٢٠

[١٦] هنريش بليت. البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص). ترجمة وتقديم وتعليق: محمد العمري. أفريقيا الشرق. المغرب_ بيروت ١٩٩٩م. ص: ٢٥

[١٧] رضوان الرقيبي. الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله. بحث منشور بمجلة عالم الفكر. المجلد ٤٠ .المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. أكتوبر _ ديسمبر ٢٠١١م. (ملف خاص عن الحجاج) ص: ١٠١

[١٨] رولان بارت. قراءة جديدة للبلاغة القديمة. تر: عمر أوكان. أفريقيا الشرق ١٩٩٤م. المقدمة. ص:٧

[١٩] الخطيب القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. حققه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت_ لبنان ٢٠٠٣م. ص: ٢٠

[٢٠] منال "محمد هشام" سعيد. المقام في العربية في ضوء البراجماتية (النظرية والتطبيق). رسالة دكتوراه منشورة على شبكة المعلومات. كلية الدراسات العليا. الأردن ٢٠٠٤م. ص: ١٩٧ (تاريخ الدخول. ١٧ / ١٠ / ٢٠٢٣م).

[٢١] نقلًا عن : صلاح فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص. ص: ٨٩

[٢٢] صابر الحباشة. مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية "قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني" صفحات للدراسات والنشر. دمشق ٢٠١١م. ص: ١٤٩

[٢٣] أوزوالد ديكرو، وجان ماري سشايفر. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. تر: منذر عياشي. المركز الثقافي العربي. د.ت. ص: ٦٧٧

[٢٤] فرانسواز أرمينكو. المقاربة التداولية. تر: سعيد علوش. مركز الإنماء القومي. د.ت. ص: ٣٦

* ترجع أصول النظرية الخطية إلى التقاليد المنطقية الوضعية في التحليل اللغوي كما هي ممثلة عند بيرس، وموريس، وكارناب، وتتجلى ماهيتها في كل نظام علاماتي يُعنى التركيب فيه ببحث العلاقات بين الوحدات اللغوية ودراستها، أما الدلالة فتفهم ببحث العلاقات بين العلامات وما تُحيل إليه، بينما تُعنى التداولية ببحث علاقات العلامات بمؤوليها.

[٢٥] نقلًا عن: الراضي رشيد. الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وأنسكومبر. مجلة عالم الفكر. العدد (١) سبتمبر. الكويت ٢٠٠٥م. ص: ٢١٤

[٢٦] الراضي رشيد. مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر، وديكرو. مجلة عالم الفكر. المجلد ٤٠، العدد ٢، الكويت ٢٠١١م. ص: ١٩٤

[٢٧] آن ريبول وجاك موشلار. التداولية اليوم علم جديد في التواصل. تر: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني. مراجعة: لطيف زيتوني. المنظمة العربية للترجمة. بيروت ٢٠٠٣م. ص: ٤٧

[٢٨] عزالدين الناجح. العوامل الحجاجية في اللغة العربية. مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع. تونس ٢٠١١م. ص: ٣٩

* هذه الأفكار والدلالات بعضها لساني كالدلالة الوضعية أو المعاني المعجمية الأولية المنبثقة عن الألفاظ، وبعضها الآخر غير لساني كالتقاليد، والأعراف، وحال المخاطبين.

٢٩ الجاحظ. البيان والتبيين. تح: عبدالسلام هارون. مطبعة الخانجي. القاهرة ١٩٧٥م. ص: ١ / ٧٦

* تبنى هذه التسمية مُترجما كتاب "التداولية اليوم علم جديد في التواصل". ص: ٤٧

* يرى الباحث أن مشروع الحجاج اللغوي أو اللساني يندرج ضمن تيار أو اتجاه التداولية المدمجة، الذي يحتوي فكرة هذا المشروع ويتضمنها ليُشكل بذلك الإطار الجامع لمشروع الحجاج اللغوي.

* تبنى هذه التسمية عبدالله صولة في كتابه : في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) مسكيلياني للنشر والتوزيع. تونس ٢٠١١م. ص: ٧٩

[٣٠] جاك موشلار وآن ريبول. القاموس الموسوعي للتداولية. تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين. إشراف: عزالدين المجدوب. مراجعة: خالد ميلاد. دار سيناترا / المركز الوطني للترجمة (سلسلة اللسان) تونس ٢٠١٠م. ص: ٨٣

[٣١] شكري المبخوت. نظرية الحجاج في اللغة. ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. فريق البحث في البلاغة والحجاج. إشراف: حمادي صمود. منشورات كلية الآداب بمنوبة. تونس.د.ت. ص: ٣٥٤

[٣٢] جاك موشلار وآن ريبول. القاموس الموسوعي للتداولية. ص: ٩٠

[٣٣] المرجع السابق. ص: ٣٥

٣٤ محمد محمد يونس علي. المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية) ط ٢. دار المدار الإسلامي. بيروت ٢٠٠٧م. ص: ١٣٧ بتصرف.

[٣٥] المرجع السابق. نفسه.

[٣٦] نقلًا عن: عيد بلبع. التداولية (البُعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة". ط٣. دار كنوز المعرفة للطبع والنشر. الأردن ٢٠٢٠م. ص: ١٩، والذي يلاحظه الباحث على ترتيب موريس السابق (الدلالة، والتركيب، والتداول) أنه يجعل المستوى التداولي نتيجةً أو محصلةً للمستويين السابقين (الدلالة، والتركيب).

* هذا الشكل ليس من تصميم الباحث، وإنما هو مأخوذٌ من ألان برّاندونّي A. Berrendonner ١٩٨١م، وهو الشكلُ الذي طالبَ به ديكرو منذ عام ١٩٧٢م.

[٣٧] محمد سالم الطبلة. الحجاج في البلاغة المعاصرة. ط٢. دار الكتاب الجديد المتحدة. ليبيا ٢٠٠٨م. ص: ١٩٣، وما بعدها

[٣٨] جاك موشلار. القاموس الموسوعي للتداولية. ص: ٩٢، وما بعدها

[٣٩] شكري المبخوت. نظرية الحجاج في اللغة. ص: ٣٥١

[٤٠] المرجع السابق. ص: ٣٥٢

[٤١] أبو بكر العزاوي. سلطة الكلام وقوة الكلمات. مجلة المناهل. وزارة الثقافة والاتصال المغربية. عدد مايو (٦٢ ، ٦٣) المغرب. صفر ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م. ص: ١٤٢، وما بعدها، وقد ورد الاقتباسُ أيضا "أننا نتكلم عادة بقصد التأثير" عند أبو بكر العزاوي (نفسه) في. اللغة والحجاج. العمدة في الطبع. المغرب ٢٠٠٦م. ص: ١٤، والحجاج والمعنى الحجاجي. ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه. ص: ٥٥

[٤٢] أبو بكر العزاوي. الحجاج والمعنى الحجاجي. ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه. ص: ٥٧

[٤٣] رضوان الرقيبي. الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله. ص: ٧٠

[٤٤] أبوبكر العزاوي. اللغة والحجاج. ص: ١٦، ويُنظر أيضا:

أبوبكر العزاوي. البنية الحجاجية للخطاب القرآني. سورة الأعلى نموذجًا. مجلة المشكاة. العدد ١٩. وجدة ١٩٩٤م. ص: ١٢٥

[٤٥] أبوبكر العزاوي. الحجاج والمعنى الحجاجي. ضمن كتاب. التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه. ص: ٦٣

[٤٦] المرجع السابق. ص: ٥٩ بتصرف.

[٤٧] عادل عبداللطيف. بلاغة الإقناع في المناظرة. منشورات الاختلاف. الجزائر. ص:٨٢

[٤٨] نقلًا عن: أبوبكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه. ص: ٦٤

[٤٩] رضوان الرقيبي. الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله. ص: ٨٧

[٥٠] أبو بكر العزاوي. اللغة والحجاج. ص: ٢٧

[٥١] شكري المبخوت. نظرية الحجاج في اللغة. ص: ٣٦٠، وما بعدها، وللمزيد عن الفرق ما بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية. يُنظر: أبو بكر العزاوي. الحجاج والمعنى الحجاجي. مقال ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه. تنسيق : حمو النقاري. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط _ الدار البيضاء ٢٠٠٦م. ص: ٦٤

[٥٢] نقلا عن: عزالدين الناجح. العوامل الحجاجية في اللغة العربية. ص: ٣٢

[٥٣] نقلا عن: رضوان الرقيبي. الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله. ص: ١٠٤

[٥٤] جون سيرل. القصدية (بحث في فلسفة العقل) تر: أحمد الأنصاري. دار الكتاب العربي. لبنان ٢٠٠٩م. ص: ٢٢

[٥٥] عبدالهادي بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية". دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت ٢٠٠٤م. ص: ١٨٠

[٥٦] المرجع السابق. ص: ١٨٣

[٥٧] جاك موشلر وآن ريبول. القاموس الموسوعي للتداولية. تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عزالدين المجدوب. المركز الوطني للترجمة. تونس ٢٠١٠م. ص: ٢٧

[٥٨] مسعود صحراوي. التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت ٢٠٠٥م. ص: ٤١

[٥٩] نقلًا عن: الراضي رشيد. الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو. مقال منشور بمجلة عالم الفكر. العدد ١ المجلد ٣٤ يوليو _ سبتمبر ٢٠٠٥م. ص: ٢١٧ ، ومن الجدير بالذكر أن علامتي التنصص المزدوجة تشي بأن العبارة الأولى لديكرو، وباقي التحليل للباحث الراضي رشيد، وما بين العلامتين كاملًا نقلتُه من المقال السابق للباحث عدا الجملة الاعتراضية هي للباحث.

[٦٠] رضوان الرقيبي. الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله. ص: ٨٨، وما بعدها

[٦١] نقلًا عن : شكري المبخوت. نظرية الحجاج في اللغة. ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. ص: ٣٥٩

[٦٢] المرجع السابق. ص: ٣٧٢

[٦٣] المرجع السابق. ص: ٣٧٤

[٦٤] نقلًا عن: أحمد يوسف. سيميائيات التواصل وفعالية الحوار (المفاهيم والآليات). منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب. جامعة وهران ٢٠٠٤م. ص: ٨٨

[٦٥] ابن منظور الإفريقي. لسان العرب. المجلد الأول (حرف الباء). ص: ٤٢٢

[٦٦] الراغب الأصفهاني. مفردات ألفاظ القرآن. تح: صفوان عدنان داؤدي. دار القلم. دمشق ١٤٢٦هـ. مادة رغب. ص: ٣٥٨

[٦٧] السيد مرتضى الحسيني الزبيدي. تاج العروس من جواهر القاموس. تح: علي هلالي. الكويت ١٩٦٦م. ص: ٢ / ٥٠٨

[٦٨] عبدالكريم زيدان. أصول الدعوة. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٧٥م. ص: ٩٧٠

[٦٩] ابن منظور الإفريقي. لسان العرب. المجلد الثالث عشر (حرف النون). ص: ٢٣

[٧٠] راجع البخاري ١٠٦/١؛ ومسلم (٩) في الإيمان؛ وشرح السنة ٩/١)." وتخريج الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ». قَالَ: مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: " الإِسْلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ". قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: " مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ فِي البُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ " ثُمَّ تَلاَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [سورة لقمان. الآية: ٣٤] الآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: «رُدُّوهُ» فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الإِيمَانِ.

متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب" الإيمان"، باب" سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة" (١٩/١)(٥٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب" الإيمان"، باب" الإيمان ما هو وبيان خصاله" (٣٩/١)٥-(٩) كلاهما عن أبي هريرة، به.

[٧١] محمد خطابي. لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) المركز الثقافي العربي. بيروت_ الدار البيضاء ١٩٩١م. ص: ١٧٨

[٧٢] الزركشي. البرهان في علوم القرآن. ١ / ٣٨

[٧٣] الطاهر ابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)) تفسير التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد". الدار التونسية للنشر. تونس ١٩٨٤هـ. ج ١ /ص: ٢٢٢

[٧٤] جورج يول. التداولية. تر: قصي العتابي. الدار العربية للعلوم (ناشرون) المغرب ٢٠١٠م. ص: ٢٧

[٧٥] الزمخشري. تفسير الكشاف (عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) اعتنى به وخرَّج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون باشا. دار المعرفة. ط ٣. بيروت_ لبنان ٢٠٠٩م. ص: ج ١ / ٣٧

[٧٦] الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ١/ ٢٢٥

[٧٧] فاضل بن صالح السامرائي. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل. عمار للنشر والتوزيع. ط٣.عمان ٢٠٠٣م. ص: ١٥

* يلجأ الخطاب القرآني إلى استخدام الوجهين معا حفاظا على المنحى التواصلي مع المتلقي، فيورد القرآن الجانب غير الملفوظ أو المحذوف ليجعله مطلقا عاما ويسنده للمخاطَب ليقوم بعملية استحضار المحذوف واستظهاره، فيكون بذلك في وضع تواصلي وتأثري مع النص.

[٧٨] الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر. د.ت. ١ / ٢٣٠

[٧٩] المرجع السابق. ١/ ٢٢٩

[٨٠] فان دايك. النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي). ترجمة: عبدالقادر قنيني. أفريقيا الشرق. المغرب ٢٠٠٠م. ص: ٨٣

[٨١] الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ١ / ٢٤٦

٨٢ **الواحدي** (أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)). أسباب نزول القرآن. تحقيق ودراسة: كمال بسيوني زغلول. دار الكتب العملية. بيروت_ لبنان ١٩٩٨م. ص: ٢٦

[٨٣] صدر الأفاضل القاسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمي (٦١٧هـ). شرح المفصل في صفة الإعراب الموسوم بالتخمير. تح: عبدالرحمن العثيمين. دار الغرب الإسلامي. بيروت ١٩٩٠م. ٤ / ٢٨٩

٨٤ يحي بن حمزة العلوي (ت ٧٤٥هـ) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. تح: عبدالحميد الهنداوي. المكتبة العصرية. بيروت ١٤٢٣هـ. ٣ / ٢٨١، وما بعدها

٨٥ الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ١/ ٣٥٢

٨٦ الزمخشري. تفسير الكشاف. ص: ج ١ / ٦٢

٨٧ الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ١ / ٣٥٧

٨٨ الزركشي. البرهان في علوم القرآن. ٤ / ١٠

٨٩ أبو بكر العزاوي. الخطاب والحجاج. الأحمدية للنشر. ٢٠٠٧م. ص: ٤٨

٩٠ عائشة عبدالرحمن. بنت الشاطئ. التفسير البياني. ص: ٨٧

٩١ الزركشي (بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي(ت ٧٩٤هـ)). البرهان في علوم القرآن. تح: محمد أبوالفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. بيروت. د.ط. ٢٠٠٩م. ٣ / ٦٨

٩٢ الواحدي. أسباب النزول. ص: ٣٣

٩٣ الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ٢ / ١٢٨

٩٤ المرادي (أبو محمد بدرالدين حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)). الجنى الداني في حروف المعاني. تح: فخرالدين قباوة، ومحمد نديم فاضل. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٩٢م. ص: ٥٩١

٩٥ أبو بكر العزاوي. اللغة والحجاج. ص: ٢٧ بتصرف

٩٦ نقلا عن: شكري المبخوت. نظرية الحجاج في اللغة. ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج. ص: ٣٣٥

٩٧ السيد عبدالأعلى السبزاوي. مواهب الرحمن. مؤسسة أهل البيت. بيروت ١٩٨٨م. ص: ٢ / ٢٨٧

٩٨ عبدالقاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص: ٢٢٢

٩٩ الواحدي. أسباب نزول القرآن. ص: ٨٦

١٠٠ الزمخشري. الكشاف(عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل).ص: ٤/ ١٤٦

١٠١ عبدالهادي بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب. ص: ٤٩٤

١٠٢ الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ٣ / ٢٨

١٠٣ المرجع السابق. ٣ / ٢٦٢

١٠٤ عبدالقاهر الجرجاني (أبوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ت ٤٧١هـ). أسرار البلاغة. قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. مطبعة المدني بالقاهرة_ الناشر: دار المدني بجدة. د.ت. ص: ١١٥

١٠٥ الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ٣ / ٢٦١

١٠٦ المرجع السابق. ٤ / ٤٤

١٠٧ المرجع السابق. ٤ / ٤٤ وما بعدها

* المقصود بالاستفهام الحجاجي هنا هو وحسبما عرَّفه أبو بكر العزاوي "نمطٌ من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله، انطلاقا من قيمته الحجاجية" أبو بكر العزاوي. الخطاب والحجاج. ص: ٥٧

١٠٨ ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)). العجاب في بيان الأسباب. تح: عبد الحكيم محمد الأنيس، الناشر: دار ابن الجوزي.د.ت. ٢ / ٧٣٣

١٠٩ الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ٤ / ٥٠

١١٠ المرجع السابق. نفسه.

١١١ آمنة بلعلي. الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار. مجلة التراث. اتحاد الكتاب العرب. السنة الثالثة والعشرون. العدد ١٦٩. دمشق ٢٠٠٣م. ص: ٢١١

١١٢ أحمد المتوكل. آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط ١٩٩٣م. ص: ٧٣

١١٣ الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ٥ / ٢٣٠

١١٤ أحمد المراغي. تفسير القرآن. ٥ / ١٨٠، ويُنظر أيضا: أسباب نزول القرآن للواحدي. ص: ١٨٨

١١٥ الواحدي. أسباب النزول. ص: ٣٣٨، وما بعدها

١١٦ الزمخشري. تفسير الكشاف. ص: ج ١٨ / ٧٣٤

١١٧ نقلا عن: محمود أحمد نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. ص: ٥٠

١١٨ شهاب الدين القرافي (ت ٦٨٤هـ) تح: عبدالحميد هنداوي. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. د.ط. ٢٠٠٣م. ٤ / ٢٢

١١٩ الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ١٨/ ٣٨٣

١٢٠ المرجع السابق. ٢٨٥/١٨

١٢١ السيوطي (عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)). الاتقان في علوم القرآن. تح: محمد أبوالفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٤م.ص: ٨٦

١٢٢ باتريك شارودو. الحِجاج بين النظرية والأسلوب. تر: أحمد الودرني. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت ٢٠٠٩م. ص: ٩٢

١٢٣ الراغب الأصفهاني. مفردات ألفاظ القرآن. ١/ ٣١٧

١٢٤ الزمخشري. تفسير الكشاف . ص : ج ٢٤ / ٩٤٩

١٢٥ الحسن بن قاسم المرادي. الجنى الداني في حروف المعاني. ٣٨٥، وما بعدها

١٢٦ الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)) مفردات ألفاظ القرآن. دار القلم. دمشق. د.ت. ص: ٢١٥

١٢٧ رضوان الرقيبي. الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله. عالم الفكر. ص: ١٠٧، وقد قدَّم الباحثان ديكرو وأنسكومبر "مقابلا للرابط الحجاجي حتى في اللغة الفرنسية، وهو "meme" وقد أقرا بأن الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة Class argumentative، أي أنها تخدم نتيجة واحدة، ثم إن الحجة التي ترد بعد "حتى" هي الأقوى ...؛ ولذلك فإن القول المشتمل على الأداة "حتى" لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي"

نقلًا عن: أبوبكر العزاوي. اللغة والحجاج. ص: ٧٣

١٢٨ ابن جني (أبوالفتح عثمان بن جني الموصلي ت ٣٩٢هـ). اللمع في العربية. تح: فائز زكي محمد. دار السلام. القاهرة ٢٠٠٧م. ص: ٢٨٣

١٢٩ الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ص: ٢٤ / ٧٣

١٣٠ المرجع السابق. ص: ٢٤ / ٧٣

١٣١ المرجع السابق. ٢٧ / ٣٩٧

١٣٢ المرجع السابق. ٢٧/ ٣٩٨

١٣٣ الزمخشري. تفسير الكشاف .ص: ج ٢٧ / ١٠٨٤

١٣٤ الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير ٢٧ / ٤٠٧

١٣٥ المرجع السابق. ٢٧/ ٤٠٨، ويُنظر أيضًا: الزمخشري. تفسير الكشاف .ص: ٤/ ٤٦٦

١٣٦ الزمخشري. تفسير الكشاف. ص: ج ٢٧ / ١٠٨٤

١٣٧ الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ٢٨/ ١٩٤

١٣٨ الزمخشري. تفسير الكشاف. ص: ج ٢٨ / ١١٠٤

١٣٩ المرجع السابق. ص: ٢٨ / ١١٠٤

١٤٠ الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ٢٨/ ١٩٥

١٤١ الماوردي. النكت والعيون. تح: السيد عبدالمقصود. ص: ٥/ ٥٣١

١٤٢ ابن وهب الكاتب (أبوالحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ت بعد ٣٣٥هـ).البرهان في وجوه البيان.تح:حفني محمد شرف.مكتبة الشباب.القاهرة ١٩٦٨م.ص: ٥٢

١٤٣ الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ٢٧ / ٢٧٠

١٤٤ نقلًا عن: العوامل الحجاجية في اللغة العربية. ص: ٤٧

١٤٥ نقلا عن: سامية الدريدي. الحجاج في هاشميات الكميت. مجلة حوليات الجامعة التونسية. العدد ٤٠ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ١٩٩٦م. ص: ٢٥٣، وما بعدها.

١٤٦ سورة آل عمران. الآية: ٢٠

١٤٧ سورة المائدة. الآية: ٥٩

١٤٨ الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنويرز ٢٧ / ٢٧١

* المقصود بمصطلح القسم الحجاجي "أن يُقدم المتكلم قولين (ق، وق) معتبرا إياهما حجتين يخدمان نفس النتيجة (ن)، ما يعني أن القسم الحجاجي محددٌ بالنسبة إلى مفهوم النتيجة من ناحية والمتكلم من ناحية أخرى"

يُنظر: آن ريبول وجاك موشلار. القاموس الموسوعي للتداولية. ص: ٢٩٨، وشكري المبخوت. نظرية الحجاجية في اللغة. ص: ٣٦٥

١٤٩ تمام حسان. البيان في روائع القرآن. عالم الكتب. ط٢. مصر ٢٠٠٣م. ص: ٢ / ٢٨٠

١٥٠ الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ٢٧ / ٢٧٢

١٥١ عزالدين الناجح. العوامل الحجاجية في اللغة العربية. ص: ٦٠

١٥٢ الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ٢٧ / ٣٠٣

١٥٣ الزمخشري. تفسير الكشاف. ص: ج ٢٨ / ١١١٣

١٥٤ الطاهر ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ٢٨ / ٢٧٩

١٥٥ المرجع السابق. ٢٨ / ٣٣٦

١٥٦ المرجع السابق. ٢٨ / ٣٣٨

١٥٧ المرجع السابق. ٢٨ / ٣٣٧

١٥٨ المرجع السابق. ٢٨ / ٣٣٨

١٥٩ المرجع السابق. ٢٩ / ٢٣٥

١٦٠ الزمخشري. تفسير الكشاف. ص: ٢٩ / ١١٤٧

قائمة المصادر والمراجع (وهي مرتبةٌ ترتيبا هجائيًا حسب أسماء المؤلفين):

أولًا_ المراجع العربية :

_ القرآن الكريم (كتاب الله المنزل والمتعبد بتلاوته)

_ أحمد يوسف. سيميائيات التواصل وفعالية الحوار (المفاهيم والآليات). منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب. جامعة وهران ٢٠٠٤م.

_ أحمد المتوكل. آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط ١٩٩٣م.

_ أبوبكر العزاوي. في اللغة والحجاج. العمدة في الطبع. المغرب ٢٠٠٦م.

_____. الخطاب والحجاج. الأحمدية للنشر. ٢٠٠٧م.

_ الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ). البيان والتبيين. تح: عبدالسلام هارون. مطبعة الخانجي. القاهرة ١٩٧٥م.

_ ابن جني (أبوالفتح عثمان بن جني الموصلي ت ٣٩٢هـ). اللمع في العربية. تح: فائز زكي محمد. دار السلام. القاهرة ٢٠٠٧م.

_ جواد ختام. التداولية (أصولها واتجاهاتها) دار كنوز المعرفة ٢٠١٦م.

_ حسان الباهي. الحوار ومنهجية التفكير النقدي. أفريقيا الشرق. المغرب ٢٠٠٤م.

_ الخطيب القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. حققه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت_ لبنان ٢٠٠٣م.

_ الزركشي (بدرالدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي(ت ٧٩٤هـ)). البرهان في علوم القرآن. تح: محمد أبوالفضل إبراهيم. دار المعرفة. بيروت. ١٣٩١هـ.

_ الزمخشري (أبوالقاسم جارالله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)). تفسير الكشاف (عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) اعتنى به وخرَّج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون باشا. دار المعرفة. ط ٣. بيروت_ لبنان ٢٠٠٩م.

_ السبزاوي (السيد عبدالأعلى السبزاوي). مواهب الرحمن. مؤسسة أهل البيت. بيروت ١٩٨٨م.

_ شكري المبخوت. نظرية الحجاج في اللغة. ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. إشراف: حمادي صمود. كلية الآداب بمنوبة. تونس. د.ت.

_ صابر الحباشة. مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية "قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني" صفحات للدراسات والنشر. دمشق ٢٠١١م.

_ صدر الأفاضل الخوارزمي. شرح المفصل في صفة الإعراب الموسوم بالتخمير. تح: عبدالرحمن العثيمين. دار الغرب الإسلامي. بيروت ١٩٩٠م.

_ صلاح فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. سلسلة عالم المعرفة. العدد (١٦٤) الكويت ١٩٩٢م.

_ الطاهر ابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)) تفسير التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد". الدار التونسية للنشر. تونس ١٩٨٤هـ.

_ طه عبدالرحمن. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. المركز الثقافي العربي. ط٤. المغرب ٢٠١٠م.

_ عادل عبداللطيف. بلاغة الإقناع في المناظرة. منشورات الاختلاف. الجزائر.

_ عزالدين الناجح. العوامل الحجاجية في اللغة العربية. مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع. تونس ٢٠١١م.

_ عبدالقادر عبدالجليل. الأسلوبية (ثلاثية الدوائر البلاغية) دار الصفاء للنشر والتوزيع. عمان ٢٠٠٢م.

_ عبدالقاهر الجرجاني. (أبوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ت ٤٧١هـ). أسرار البلاغة. قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. مطبعة المدني بالقاهرة_ الناشر: دار المدني بجدة. د.ت.

_ عبدالكريم زيدان. أصول الدعوة. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٧٥م.

_ عبدالله صولة في كتابه : في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات) مسكيلياني للنشر والتوزيع. تونس ٢٠١١م.

_ عبدالهادي بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية". دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت ٢٠٠٤م.

_ عيد بلبع. التداولية (البُعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة". ط٣. دار كنوز المعرفة للطبع والنشر. الأردن ٢٠٢٠م.

_ فاضل بن صالح السامرائي. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل. عمار للنشر والتوزيع. ط٣.عمان ٢٠٠٣م.

_ القرافي (شهاب الدين ت ٦٨٤هـ) تح: عبدالحميد هنداوي. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. د.ط. ٢٠٠٣م.

_ المرادي (أبو محمد بدرالدين حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)). الجنى الداني في حروف المعاني. تح: فخرالدين قباوة، ومحمد نديم فاضل. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٩٢م.

_ مجموعة من المؤلفين. أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. فريق البحث في البلاغة والحجاج. إشراف: حمادي صمود. منشورات كلية الآداب بمنوبة. تونس.د.ت.

_ مجموعة من المؤلفين. التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه. تنسيق : حمو النقاري. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط _ الدار البيضاء ٢٠٠٦م.

_ ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)). العجاب في بيان الأسباب. تح: عبد الحكيم محمد الأنيس، الناشر: دار ابن الجوزي.د.ت.

_ محمد خطابي. لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) المركز الثقافي العربي. بيروت_ الدار البيضاء ١٩٩١م.

_ محمد سالم الطبلة. الحجاج في البلاغة المعاصرة. ط٢. دار الكتاب الجديد المتحدة. ليبيا ٢٠٠٨م.

_ محمد محمد يونس علي. المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية) ط ٢. دار المدار الإسلامي. بيروت ٢٠٠٧م.

_ محمود أحمد نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية ٢٠٠٢م.

_ مسعود صحراوي. التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي). دار الطليعة. بيروت ٢٠٠٥م.

_ الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)). أسباب نزول القرآن. تحقيق ودراسة: كمال بسيوني زغلول. دار الكتب العملية. بيروت_ لبنان ١٩٩٨م.

_ ابن وهب الكاتب (أبوالحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ت بعد ٣٣٥هـ). البرهان في وجوه البيان.تح: حفني محمد شرف. مكتبة الشباب. القاهرة ١٩٦٨م.

_ يحي بن حمزة العلوي (ت ٧٤٥هـ) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. تح: عبدالحميد الهنداوي. المكتبة العصرية. بيروت ١٤٢٣هـ.

ثانيًا_ قائمة المراجع الأجنبية المترجمة :

_ أوزوالد ديكرو، وجان ماري سشايفر. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. تر: منذر عياشي. المركز الثقافي العربي. د.ت.

_ آن ريبول وجاك موشلار. التداولية اليوم علم جديد في التواصل. تر: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني. مراجعة: لطيف زيتوني. المنظمة العربية للترجمة. بيروت ٢٠٠٣م.

_ باتريك شارودو. الحِجاج بين النظرية والأسلوب. تر: أحمد الودرني. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت ٢٠٠٩م.

_ جاك موشلار وآن ريبول. القاموس الموسوعي للتداولية. تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين. إشراف: عزالدين المجدوب. مراجعة: خالد ميلاد. دار سيناترا / المركز الوطني للترجمة (سلسلة اللسان) تونس ٢٠١٠م.

_ جورج يول. التداولية. تر: قصي العتابي. دار الأمان. الرباط ٢٠١٠م.

_ جون سيرل. القصدية "بحث في فلسفة العقل" ترجمة: أحمد الأنصاري. دار الكتاب العربي. لبنان ٢٠٠٩م.

_ رولان بارت. قراءة جديدة للبلاغة القديمة. تر: عبدالكبير الشرقاوي. دار الفنك. الدار البيضاء. المغرب ١٩٨٤م.

_ فان دايك. النص والسياق "استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي". تر: عبدالقادر قنيني. أفريقيا الشرق. المغرب ٢٠٠٠م.

_ فرانسواز أرمينكو. المقاربة التداولية. تر: سعيد علوش. مركز الإنماء القومي. د.ت.

_ فيليب بلانشيه. التداولية من أوستن إلى جوفمان. تر: صابر الحباشة. دار الحوار. سوريا ٢٠٠٧م.

_ هنريش بليت. البلاغة والأسلوبية "نحو نموذج سيميائي لتحليل النص". ترجمة وتقديم وتعليق: محمد العمري. أفريقيا الشرق. المغرب_ بيروت ١٩٩٩م.

ثالثًا _ المعاجم والقواميس :

_ الراغب الأصفهاني. مفردات ألفاظ القرآن. تح: صفوان عدنان داؤدي. دار القلم. دمشق ١٤٢٦هـ.

_ السيد مرتضى الحسيني الزبيدي. تاج العروس من جواهر القاموس. تح: علي هلالي. الكويت ١٩٦٦م.

_ ابن منظور الإفريقي (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري) لسان العرب. دار صادر. بيروت. د.ت.

رابعًا _ الدوريات والمجلات والمقالات المنشورة :

_ آمنة بلعلي. الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار. مجلة التراث. اتحاد الكتاب العرب. السنة الثالثة والعشرون. العدد ١٦٩. دمشق ٢٠٠٣م.

_ أبو بكر العزاوي. سلطة الكلام وقوة الكلمات. مجلة المناهل. وزارة الثقافة والاتصال المغربية. عدد مايو (٦٢ ، ٦٣) المغرب ٢٠٠١م.

_ الراضي رشيد. الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وأنسكومبر. مجلة عالم الفكر. العدد (١) سبتمبر. الكويت ٢٠٠٥م.

_ _____. مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو. مجلة عالم الفكر. المجلد ٤٠، العدد ٢، الكويت ٢٠١١م.

_ رضوان الرقيبي. الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله. بحث منشور بمجلة عالم الفكر. المجلد ٤٠ .المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. أكتوبر _ ديسمبر ٢٠١١م. (ملف خاص عن الحجاج).

_ سامية الدريدي. الحجاج في هاشميات الكميت. مجلة حوليات الجامعة التونسية. العدد ٤٠ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ١٩٩٦م.

خامسًا_ الرسائل الأكاديمية (الماجستير والدكتوراه) :

_ منال "محمد هشام" سعيد. المقام في العربية في ضوء البراجماتية (النظرية والتطبيق). رسالة دكتوراه منشورة على شبكة المعلومات. كلية الدراسات العليا. الأردن ٢٠٠٤م.